

الألف
كتاب
الثاني



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

أوجست ديس

أفلاطون

ترجمة

محمد اسماعيل

الأعمال
المختارة

الألف كتاب الثاني

نافذة على الثقافة العالمية

الإشراف العام

الدكتور / سمير سرعان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

مدير التحرير

هزن عبد العزيز

سكرتير التحرير

علياء أبو شادي

المشرف الفني العام

مهندسة خطية

أفلاطون

تأليف

أوجست ديليس

ترجمة

محمد اسماعيل

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

الفهرس

الموضوع	الصفحة
لبينة العقلية	
١ - المراض	٧
٢ - الأسرة والمدرسة	١٠
٣ - السفسطائيون	١٤
٤ - روح العصر . الروح العملية	٢٠
٥ - مذهب الشك	٢٢
البينة السياسية	
١ - السياسة الواقعية	٢٧
٢ - نكبة صقلية وحكومة الأربعمئة	٢٩
٣ - محاورات سقراط	٣٦
٤ - ثورات أثينا ومحاكمة سقراط	٤٤
تمجيد سقراط	
١ - سنين الترجل والتأمل	٥٢
٢ - حقيقة سقراط	٥٨
٣ - المحاورات الأولى	٦٣
٤ - جورجياس أو العلم الضروري الوحيد	٦٨
٥ - الرحلة الى ايطاليا وتأسيس الأكاديمية	٧٤
العلم المثالي	
١ - الحقائق المعقولة	٨١
٢ - الرؤيا السعيدة والوجود السابق	٨٥
٣ - الرؤيا السعيدة والخلود	٩٠

٩٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤ - أساطير الخلود
٩٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٥ - البراهين العقلية
٩٩	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٦ - التجلى الروحى

العلم الإنسانى

١٠٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١ - الاحساس والفكر
١٠٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢ - الكهف
١٠٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣ - مهمة العلوم الرياضية
١١٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤ - الحب الفلسفى
١١٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٥ - تعقب الحقيقة

المدينة الفاضلة

١١٨	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١ - فى الاعتزال وفى العمل
١٢٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢ - خيال وتطرف
١٢٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣ - نحر أحلام أنسب للإنسان
١٢٩	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤ - مملكة الأنصاف
١٣٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٥ - انحراف وتقهر

خبرة صقلية ودستور المصلح

١٤٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١ - تتويج طاغية شراب
١٤٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢ - أفلاطون ودينيس الأصفر
١٥١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣ - ديون فى سراقوزا
١٥٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤ - مشروع حكومة معتدلة
١٥٩	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٥ - الأسس الروحية للدولة
١٦٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	حياة أفلاطون بعد وفاته
١٧١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	نبذة عن المؤلف أوجست دييس

البيئة العقلية

١ - المراض

الى الطريق المار خارج السور وعلى مقربة من الباب المستور حيث تقوم نافورة بانوب ، يخرج الأطفال من المراض زرافات • الشمس قد جنحت للغروب ، والمعلمون يسوقونهم أمامهم بإشارات تنم عن اللهفة والقلق ، وفي أصواتهم من البحة والزجر ، وفي ألسنتهم من الثقل ما يزيد من حوشية اليونانية التى يدندنون بها • وهؤلاء هم الأطفال يخالس بعضهم بعضا النظر ، خافضى الرأس كتمانا لضحكاتهم • انهم يعلمون حق العلم بأن عبيدهم المستنين قد شربوا اليوم فى أعياد هرمس • وهم يغذون السير مع ذلك ، يتبعهم صبية يكبرونهم يتحدثون ويجادلون فى حرارة ، وفتيان وشبان يتوسطهم رجال هنا وهناك •

ها هو ذا البهو الداخلى ، حيث تمارس التمرينات الرياضية ، قد خلا من رواده • ولكن جماعات من الرجال والشباب لا تزال هناك تحت الأروقة ، وثمة عبارات منسوبة تقررع الأسماع كأنها ضوضاء ذات انسجام ، تنتفخ وتعلو تارة أو تتمطى تارة أخرى ، ويقطعها التصفيق بين الفينة

والفينة ، وحينما تكون جملا قصيرة تتصادم وتتقارع حادة كالسيوف ، مثيرة هتافات حماسية وعواصف من الضحك .
منظر وايم الله ، قد استهوى نفوس الفتيان الأيفاع الذين انسلوا متدافعين وسط صفوف المستمعين ، ناسين الساعات وهى تمر ، مرددين فيما بينهم ، أسماء من اختلبوا حب استطلاعهم .

وهناك جمع من السفسطائيين الغرباء ، أتوا كماداتهم ليدلوا بعلمهم وبلاغتهم أمام الأثينيين . فهذا الرجل الذى يبدو كالمحموم ، ذو الصوت الخفيض والاشارات التعليمية الدقيقة ، هو العالم يروديكوس المولود فى ايوليس ، بجزيرة خيوس ، وهى مدينة قريبة جدا ، وما أكثر ما حظيت مراضات أثينا بزياراته ! - أما هذا الآخر ، الرافل فى أثواب زاهية ، ذو المنطقة الذهبية الذى يتململ كى يلفت اليه الأنظار ، فهو هيبياس من مدينة ايليس ، هيبياس الجميل ، الذى يشيد البعض بتبحره فى الرياضيات ، ولكنه هو يتباهى بأنه يعلم (بفتح الياء واللام) كل شئ ويعلم (بضم الياء وتشديد مع كسر اللام) كل شئ - ان فيه لخيلاء فاضحة ساذجة ، وجلافة فلاح ، تحول ادعاءه ضحكا يثير المرح فى جمهوره الشاب .

وهناك غريبان آخران يبدو أنهما يتناوبان ارهاق فتى بالأسئلة ، الفتى مضطرب لا يحسن كتمان غيظه . وقد جلس الى جانبهما رجل قصير القامة بدين أصلع أقنى الأنف ذو عينين شزراوين تعرفه المراض بأسرها ، لأنه أليف فى كل الأماكن التى يؤمها الشباب ، وهو أحد الأثينيين الندر الذين لا يزاولون من الصباح حتى المساء غير هذه المهنة ، مهنة السفسطة - انه سقراط ، من مقاطعة « ألوبيس » - وهو

اليوم فى صحبة رجلين لم يعد الناس يراهما معه كثيرا منذ حين . لم يتجاوز أحدهما الثلاثين ، هادىء فى جلسته . والآخر يكبره جسما وسنا وله نظرة حادة شامخة ، وتراه ينهض بين حين وآخر فى حركة مفاجئة وكأنه متأهب لاستجواب الشخصين دفاعا عن الفتى الذى يرهقانه بأسئلتهما . ولكن سقراط يشير اشارة تهدئة ليمنع تدخله ، بينما يشجع الفتى الثابت الجنان فى هدوء ورقة . فيخمر الفتى خبلا فى أول الأمر ، ثم يستعيد هدوءه فى شئ من الجهد ، وفى نظرة باسمة الى سقراط يلتفت الى السفسطائيين ، متهيئا لتلقى السؤال الخادع الذى سيلقيه الواحد أو الآخر .

أما صاحب سقراط فهما خرميدس واقريتياس . من أقرباء أفلاطون الصبى الذى انسل بين المجتمعين ، ووقف مستندا الى كاهل خرميدس ، مظهرا سرورا لا حيد له مما يشاهد فى هذا المنظر الهائج . وكم من مرة تملى بمثل هذه المناظر ، وخاصة منذ أن خرج عن ولاية معلمه وأذن له فى أن يتجول مستطلعا حول المراض ، بعد وثب أو سباق أو ملاكمة ، تحت اشراف أحد اخوته أو خاله خرميدس ، فى أكثر الأحيان . وقد مدت سنته الثانية أو الثالثة عشرة من أعضائه وقسماته ، ولو أنها قد أبقت على نظرتة الصافية ودهشاته العذبة ، وحب استطلاعها المتأهب دائما المتجدد أبدا ، شأن الطفولة .

كل شئ لا يزال عنده لهوا : ففى السوق ، مناظر خيال الظل ومفاتن الساحر وتهاويله ، وفى الشارع ، صرخات العامة ونداءاتهم ، واختلاف الألوان وضجيج الاشارات ،

والحمير السفية التي تسير قدما مصطدمة بكرام الناس ،
 وفي الملاعب ، الجو المثير الذي يبدو في التمرينات وفي
 الأجسام الشابة الممتدة كجسمه في جهد لذيذ ، والتوقعات
 المنسجمة للمواقف والحركات ، ثم التراخي والأحاديث
 والضحكات ، على هيئة جماعات ، بين شبان ايفاع ، أو منظر
 معركة خطائية أو جدلية ، ولكنه لم ير حتى الآن من كل هذه
 المعارك العلمية الا ظاهرها ، غير أن بعض الألفاظ قد أثار
 في نفسه أصداء ، كما أن هذه المعركة الكلامية تصير أحيانا
 حادة لدرجة أنه يشاهدها ويتابعها في لهفة وجد ، وكأنها
 معركة حقيقية . وقد قربت الساعة التي سيعلم فيها ما لهذه
 المعارك الفكرية من أهمية حيوية : آليس ابنا من أبناء أثينا
 التي تعالج فيها السياسة في وضوح النهار ، وتظل معتزجة
 بالهواء الذي يستنشقه أهلها ، كما أن أسرته من أعرق
 وأمجد ما بها من أسر ؟ لقد كانت السياسة دائما بالنسبة الى
 جميع عشيرته ما هي صائرة اليه الآن بالنسبة الى كل مواطن
 حر ، أعني رسالته الفطرية الأولى ، والنشاط الوحيد الذي
 يسمح له بنشدانه .

٢ - الأسرة والمدرسة

ولد أفلاطون عام ٤٢٧ ق م في عهد ديوتيمس وكان
 لا يزال في مستهل الطفولة حينما توفي والده اريستون بن
 أورستكليس ، تاركا وراءه اثنين آخرين يكبران أفلاطون
 وهما اديمنتس واغلقوقون وفتاة تدعى فوتونى . أما والدته
 افريقطونى فقبت وفقت الى الظفر بزواج عاشت في كنفه ،
 ألا وهو قريبها بيريلامبس صاحب الطيور الذي ارتفع الى

الشهرة بفضل ما كان يقوم به من سفارات ، وكذلك بفضل الطواويس التي حصل عليها أثناء مقامه ببلاط ملك القرس . هذا ما أحاط طفولته من مجد حاضر وماض لأسرته من أمه . وأغلب الظن أنه قد ترمى الى سمعه ذلك النسب الشهير الذي تبادلته فيه أسرة دروبيد وأسرة اقريتياست التزاوج منذ قرون خلت ، وليس من شك في أن رأس الفتى طالما اختلطت فيه الأصلاب .

ومهما يكن من شأن افتخاره بعلمه أنه منذ مائة سنة على الأقل لم يتخلف أسلافه عن أعلى المراتب ، فلم تكن ولاية أمثال دروبيد في منتصف القرن السابع أو ولاية اقريتياست حوالي القرن السادس لتعتبر أوضح ما سجلته ذاكرته . فقد اهتز قلبه الفتى بذكريات أخرى : إذ خلد ستولون الشهير ، أحد أقربائه وصديق دروبيد القديم ، مفاخر العائلة في أشعاره . وبقي الشاعر المرح انكريون صناعب خطوة في بلاط هيبارينوس بفضل صلته الطيبة بأحد أفراد أسرة اقريتياست أو بفضل سخاء هذا الطاغية ، الذي كان أحد أجداد أفلاطون ، إذ كان جدا لأنه افريقطوني كما كان في الوقت نفسه جدا لصديقه وحاميته اقريتياست وخرميدس .

وما ان انتهى أفلاطون من حضانة النساء له ، حتى انتقل بطبيعة الحال كجميع الأطفال من أمثاله الى رعاية عبد مسن كان يقوده الى المدرسة . وقد تعلم أولا كيف يحسن هندامه ويجلس وينهض ويمشي معتدلا ، وكيف يتغنى بأناشيد وضعت تمجيذا لمدينته . ثم تلقن من بعد الكتابة ومارس القراءة بطريقة الانشاد على الدوام ، أو بمحاولة تتبع ورسم الحروف التي خطها مؤدبه على اللوحة وقد وضعها على ركبتيه

خاطا عليها بقلمه . واستطاع من بعد أن يكتب ما يملئ عليه من قصائد كبار الشعراء وأن يسمع شروحها وأن يحفظها عن ظهر قلب ، فرأى ماثلة أمام عينه تلك الملكة الساحرة حيث كانت تنبثق في كل خطوة مفاتن جديدة . كانت أولا الممارك التي دارت حول اليون ، ومغامرات اليوسوس وحكمته الدائمة ، فأنساب الآلهة المسيطرين على السماء ثم الريف والبحر والأيام الصالحة للبذر والرياح المساعدة للابحار قرب الساحل ابحارا مثمرا وجزاء العمل وثمار العدل الطيبة . وبعد أشعار هوميروس وهزيود تأتي مراثى سولون العذبة ، أو جمل تيوجنيس الميجارى اللاذعة . وفي هذا الجو من الحكمة الالهية والحقيقة الانسانية تفتحت وقويت نفسه . وثمة أساتذة آخرون علموه القيثارة والمزهر ، وأولع قلبه بأناشيد تيرتى العسكرية بينما كان يتعلم كيف يشكل مواقفه وإشاراته حسب التوقعات العذبة للألحان والرقص ، وكيف يهب جسمه مرونة بواسطة تمرينات المراض .

وكان كلما تقدم في طور البلوغ وجد أساتذته الحقيقيين خارج المدرسة . وأول هؤلاء خاله خرميدس وابن عمه اقريتياس . أما خرميدس ، فكان من شأن طبيعته الهادئة وما طبع عليه من تحفظ ألا تتاح له غير الأدوار الثانوية . وكان له بمثابة الصديق الصدوق الذي يستعين به كما يستعين بخير طبيعى في غير تحفظ ولا التفات . وقد استطاع أن يحكم رأى فيه فيما بعد : اذ هيأت له التجربة تقدير هذه الحكمة المترددة شيئا التي سنجدها لديه من بعد في تلطيفه من حدة المخاطرات البالغة حد الجرأة دون أن يخفف من حدة اخلاصه . ولكن أى سحر وروعة كانت لشخصية

قوية جبارة كشخصية اقريتيا في نفس هذا الطفل ذى العقل الحاد ، والخيال الجامح ، والرغبات التي لا تعرف بطبعها حدا ولا نهاية . كان لاقريتيا القديم صديق انكريون ، ولدان هما كاليسكروس واغلوقون ، أما صاحبنا اقريتيا بن كاليسكروس فقد كان يكبر كلا من خرميدس وافريقطوني أبناء اغلوقون قرابة عشر سنوات . وقد تولى وصاية خرميدس الذى ظل له تابعا مخلصا على الدوام معجبا به أبدا . وكان كاليسكروس مفرطا فى الثراء ؛ فتمكن والده فى سن مبكرة من أن يختلط بالشباب الزاهر الذى أدهش أثينا ، كما جلب اليها العار ، تحت لواء ألقبيادس الجميل . ولم يكن اقريتيا مجرد صديق لهو لألقبيادس ، انما جعلت منه نبالته ندا لابن أخى بركليس (القبيادس) ، وان لم يكن على نفس القدر من المرونة أو الجاذبية الفذة . التى أحببها أثينا حينما ونقمت عليها حينما آخر ، فان روحه كانت مشتغلة كروح ألقبيادس ، وكان حب استطلاع العقل أعمق وأشد صلابة .

تتبع كل منهما دروس سقراط ودروس السفسطائيين ؛ ولكن القبيادس الذى تفتحت أمامه سبل الحكم من تلقاء نفسها هرول خلالها بكل جوارحه ، ولم يطلب من بلاغة العصر وفلسفته الا القدر الذى يكمل به قدرته الفطرية فى التأثير على الناس . أما اقريتيا فقد عثر على ناجذيه من غير شك ولكنه شغل أوقات فراغه فى الاستزادة من العلم ، وفى التحضير فى أعماله الأدبية كذلك . فرافق جورجياس الليونتيومى أستاذه فى الخطابة ابان مقامه بتساليا ، وآفاد من مقامه هنالك فدرس نظام تلك البلاد السياسى . وعنى كذلك بدراسة دساتير اسبرطة وأثينا دراسة مقارنة . هذا ، ولم

تصرفه عنايته بالسياسة عن مطامحه الأدبية ، اذ كان الأدب نفسه من جهة أخرى منبرا بالنسبة اليه . فكان له أسلوب كبار الأساتذة ، أسلوب سلس واضح وان لم يخل من حدة في الوقت المناسب . كان يتحدث به دون اضطراب ، في لغة بسيطة متزنة ، لغة المجتمعات الراقية ، عن الأشياء التي تعد على درجة كبيرة من الخطورة . لقد عرف كيف ينظم المراثي ويؤلف المآسي التي كان ينطق فيها شخصيات لا تقل قدرة على التفكير عن شخصيات يوروبيدس ، بأفكار العصر وآماله ، مما جعل الناس في المجتمع ينظرون اليه كمفكر ، فتروى عليه السفسطائيون والشعراء مزهوين بأن يجدوا في هذا الفتى النبيل الطموح السخي تلميذا ، أخرى من أن يكون منافسا . ولقد تدلل أفلاطون على خاله خرميدس ، ولكن اقريتياس الذي كان يعلم كل شيء والذي كان أيضا حيث حل ، والذي أكد وحكم في حماس المتلهف الشهيرة التواقة الى القوة ، والذي اقترب بحمية وقوة من سحر الأدب الجميل ومن الشعر (أقول كان اقريتياس) له رائدا وأستاذا ابان عهد المراهقة .

٤ - السفسطائيون

تلك المراهقة التي لم يعوزها أحد من المعلمين . فهاهم من أطلق عليهم عندئذ اسم السفسطائيين أو الحكماء قد تنافسوا في عرض أنفسهم على جمهورهم الفتى هناك ، حيث لا يشكون في وجوده ملتئما أغنى في المراضات وفي الملائب . فكانوا يختلطون في مجتمع الهواة والأقارب أو الأصدقاء ينتهزون أقل مناقشة ليبسطوا علمهم وحقهم

فيبدءون بحصار الناضجين من زبائنهم ، موقنين من احراز دعاية مثمرة من وراء ذلك . وحالما يبدو الشبان يشيدون بنبوغهم ويسألون عن أسمائهم وعن أسرهم ويجدون دائما الفرصة لاجتذاب انتباه البعض منهم ويسوقونهم الى الحديث ويستدرجونهم بوعود خلافة . وقد يهرعون الى هنالك أحيانا يتبعهم موكب مختلف المهابة يتألف من طلبتهم المنتظمين . فيتجولون في الأروقة أو يتابعون وهم جلوس وسط حلقة من المعجبين خطبة براءة أو مناقشة حارة لا تخلو من أن يشترك فيها عدد لا بأس به من أيفاع محبى الاستطلاع . ثم يأتى اليوم ان عاجلا وان آجلا وقد أصبح هؤلاء المتطلعون المتواترون طلابا منتظمين . يالفون في هذه الأثناء وجوه مشاهير السفسطائيين ويعتادون طرائقهم فيتناقشون حول قيمة كل ويقلدون حركاتهم وعباراتهم المشهورة . ويتذاكرون فيما بينهم الأثمان التى وضعها هؤلاء الأساتذة المرغوب فيهم قيمة لدروسهم ، ويرددون أسماء زملائهم بالأسس أولئك الفتية الذين أسعدهم الحظ والجاه بالاختلاف اليهم . ويعودون من المراض الى المنازل وقد امتلأ كل منهم بهذه الضجة فيحيطون آباءهم بأخبارهم ولجاجهم . وفتمسي المدينة وقد اهتزت بالحماسة التى أثارها التعليم الجديد .

١٠. انبتق هذا التعليم طبيخيا بحكم الضرورات التى أوجدها ظهور الديمقراطية فى المدن اليونانية ، وخصوصا انتصارها الخهاى فى أثينا . فالتربية القديمة التى كونت من اختصروا فى مراتون ويلاتيه بدت قاصرة يوم لاحظ كل فرد أنه لكى يصبح واليا أو قائدا أو لكى يظفر بأية سلطة كائنة ما كانت أو يحتفظ بها ، كان لابد له أن يعرف كيف يكتسب ثقة الشعب المسيطر عن طريق ذلك الذى لعله أن يكون المفرد

دائما لكل الجماهير والذي كان شديد الاغراء بالنسبة الى الجمهور اليوناني على وجه الخصوص : أعنى الكلام الرنان البارع . فلم يكن مغنيا في هذا الصدد أن يكون المرء قد تعلم حسن اللهجة وطيب الخلق وشيئا من النحو أو أن يكون قد عرف أعمال فطاحل الشعراء من حكمة عميقة وعبارات دقيقة ، انما كان الواجب أن يكون في مقدوره الكلام في كل حين وعن كل موضوع أمام قضاة شديدي التأثير . ولعل الخصم أن يكون قد ظفر بهم من قبل أو على الأقل قد حاول منذ قليل أن يستولي عليهم ليجذبهم الى جانبه . فكان من الواجب عليه إذن أن يكون قد حصل معارف متنوعة ، وأن يجعل في متناول يده بوجه خاص خزانة من الحجج توصل الى جميع الغايات ، وأن يكون له من حضور البديهة ما يمكنه من استثمارها بأن يكيفها تبعا للظروف وتبعا للجمهور . أما الأساتذة الذين كانت تتطلبهم الظروف فقد كانوا يتقدمون بأنفسهم .

وجد دائما منذ عهد هوميروس وهيذيوذ واكسينوفان منشدون أو مغنون متجولون يستمون أنفسهم الشعراء المنشدون يقدون على قصور الملوك والظفاة . ثم أخذوا يذهبون فيما بعد الى أسواق المدن المتواضعة في أيونيا أو اليونان أو صقلية يرتلون أشعارهم أو يرددون الروائع الكلاسيكية . أما المتأخرون من أحفاد هؤلاء الشعراء فلم يحسنوا التسليح لمواجهة سيطرة النشر وربما كان مآل ذكرهم الى الزوال بغير رجعة لو لم يستدعهم خاصة الواقع المؤلم للمشاحنات السياسية والاجتماعية الى الحياة ثانيا والى الازدهار في ثوب محاضرين جائلين وأساتذة أحرار للخطابة . فعادوا يجوبون المدن اليونانية ينقبون عن المجيد والثروة

مثلهم في ذلك مثل أسلافهم • ولكن أيا ما كان المكان الذي اتوا منه ، سواء أكانوا من تساليا أم من ايطاليا الجنوبية أو كانوا من صقلية وايليس وأولبيا أم من ديلف ، فانهم قد يمموا جميعا شطر أثينا - « المحبة بطبعها للخطب الزاخرة بالكلام » ، اذ كانت تنطق بلغة سلسة واضحة أصلح ما تكون لأن تصبح لغة متوسطة بين اللهجات اليونانية الأخرى قابلة دون مشقة لأن تتكيف تبعاً لجميع دقائق التفكير ووفقاً لكل حدة في الأفعال • كانت أثينا أيضاً في أوج علوها حوالي منتصف القرن الخامس وقد كفل التوازن الذي وصلت اليه الحكومة الشعبية وقتئذ الحماية والحرية على السواء لكل القوى المجددة • الى هنالك ذهب سنة ٤٤٤ ق • م بروتاجوراس ، هذا السفسطائي البارز من مدينة ابديرا في تراقيا ، ونعم بالحظوة لدى بركليس الذي ناط به ايجاد دستور لمستعمرة ثوريو التي تأسست على انقاض مدينة سيبارس ، وطالما تردد على هذه المدينة • فكانت أنبل الأسر تفخر باستقباله وأخذت تفتح أبوابها على مصراعيها لمستعميه المشوقين ، وكان خبر حضوره يجعل النشوة تسرى في الفتية • وكانت الاشاعات التي يطلقها حول المبالغ التي يكتسبها من جولاته للمحاضرة بمثابة اعلانه الأول : أفلم يذهب الناس بعد وفاته الى حد القول بأنه اكتسب من النقود أكثر مما اكتسبه فدياس وعشرة نحاتين آخرين معا ؟

أما جورجياس الصقلي فقد عرفته أثينا لأول مرة كسفير أرسله مواطنوه من بلدة ليونتيوم صيف عام ٤٢٧ ق • م استنجادا بها ضد سراقوزة • وكان قد أشرف على الستين • وكان لجلال مظهره وفخامة ملبسه وعلى الأخص لانسجام كلامه انسجاماً رقيقاً وفخامة هذا الكلام البراقة بعض الشيء ، كان

لهذا كله نجاح باهر * وعلى الرغم من أنه قليل الحظ من الجدل ، فإنه كان فنانا كاملا فاستطاع أن يخلق لنفسه أسلوبا خاصا عنى فيه بالكلمات الخارجة عن المألوف وموقعا توقيعا ملئا بالطباق والجناس ، فكان يحيط بهذا الرنين أكثر الأحاديث ابتداء لا فيقصر الانتباه على جماله الرنان * ثم أصبح هذا النوع من البلاغة وحيا للأثينيين ، وسرعان ما صار الأسلوب الجورجياسى بدعا سائدا .

وأتى بروديكوس هو الآخر من كيوس بصفته سفيرا وكان رجل (التدقيقات) : اذ كان مشهورا بعلمه بالمتراذفات وبالذقة المتناهية فى لفته * كان هو وهيبياس عدلين تقريبا وكانا من جيل متأخر عن بروتاجوراس وجورجياس * أما ترازيماخوس الخلقدونى فقد أتى فى بتانيا وهو مؤلف كتاب « الفن الكبير » وكان بارعا فى اللعب بالعواطف * وكم من آخرين يقلون شهرة عن هؤلاء ولكنهم لا يقلون عنهم ادعاء قد تعثروا فى أخايد كبار السفستائيين يتلقطون نصيبهم من المجد والمال ! * وفى أثينا، حيث كان التعليم مسألة خاصة تراقبها الدولة عن بعد وكان لا يزال أوليا جدا الى ذلك الحين ، نشأ هكذا فجأة نوع من التعليم العالى فى صورة محاضرات المعرض أو دروس خاصة سرعان ما شاعت * ولما كان هذا التعليم قد أوجد لأعداد شباب يحيا حياة مواطنين منتجين لم يجد أفضل من أن يزودهم بثقافة عامة سريعة بقدر ما هى براءة ، تمرين صوري صرف وليس ثمة من مثل أعلى آخر فى عرف الفضيلة السياسية والمدنية ، غير معرفة الكلام بنجاح فى المحاكم والمحاقل .

وحيثما بلغ أفلاطون طور البلوغ ، كان بروتاجوراس قد مات منذ عدة سنوات * وبعد أن جاب جورجياس اليونان.

بأسرها ظل في لاريس بتساليا حيث توفي عن نيف ومائة سنة بعد سنة ٣٨٠ بعد أن عرف كل الانتصارات ، وكان قد تجنب بكل عناية ، خلال ذلك المجد وتلك الثروة ، كل المشاغل سوى فنه الخاص . ولكنه هيببى دس وبروديكوس كانا لا يزالان في تمام نضجهما . وهما تلميذا بروتاجوراس وجورجياس وقد حلا محلها في المهنة وجمعا من حولهما التلاميذ . وبقدر ما كان حب استطلاع أفلاطون العقلي وتأمله يتزايدان على مر السنين ، بقدر ما أتيح له من فراغ يمكنه من أن يتنقل من سفسطائي إلى آخر وأن يقارن بين تعليمهم ومناهجهم ووسائلهم .

لم يبدأ الشباب منذ اليوم فحسب بدراسة أساتذتهم قبل دراسة محاضراتهم وبالوقوف على جنونهم وبتحديد نزواتهم ولوازمهم في صرامة لا هوادة فيها . فقد قدم السفسطائيون مادة جميلة للملكة الملاحظة اللطيفة عند فتية الأثينيين ، وهم مدرسون أحرار مضطرون إلى السعى بأنفسهم وراء جمهورهم فان أرادوا الاحتفاظ بذلك الجمهور كان عليهم أن يشتركوا في مسابقات حرة غاية في المهارة فكان مفروضا عليهم اذن أن يقوموا بدعاية مستمرة . ولم يكن من الواجب عليهم أن يكيفوا أنفسهم حسب مقتضيات الأيام فحسب ؛ بل كان عليهم كذلك أن يجددوا فيها وأن يتجاوزوها في شيء من المبالغة أو بشيء من الغرابة الظاهرة ، وعن هذا الطريق سعوا دائما نحو التأثير أو المبالغة أو الصنعة في اللغة بل وفي الملابس وغالوا في الشذوذ حتى بلغوا به حد الاضحاك ، وأخيرا فانهم لم يبذلوا تعاليمهم دون مقابل نقدي ولقد ظهروا في هذا الباب بمظهر المتباهين والمتشدددين فاحتقرهم شباب الأرستقراط الذين كانوا

يترددون عليهم : ناظرين اليهم كتجار وباعة متجولين
ووجدوا لذة فى الانتقام على هذا النحو من غطرستهم ، ومن
دروسهم المرتفعة الثمن التى لا محيص لهم عنها ومن تأثيرهم
الذى لا يمكن دفعه .

٤ - روح العصر : الروح العملية

كان هذا التأثير يزداد شدة كلما كانت نفوسهم أسلس
قيادا وأقل شخصية . هذا ولم يكون السفسطائيون مدرسة ؛
فلم يكن لهم على وجه التحقيق مذهب قائم بذاته . بل كان
يتردد عليهم فريق مشترك وكانت لهم رغبة متساوية فى
ارضائهم ، ومهما يكن من أمر مواردهم الثقافية وميولهم
المختلفة ، فقد كانت لهم جميعا نفس الرغبة فى اشباع ميولهم
الأساسية . فان المنافسة القائمة بينهم قد قربتهم من ذوق
جمهورهم وحاجاته قريبا شديدا . ولم يكن همهم الطبيعى
ايجاد أفكار جديدة ، بقدر ما كان من التلاؤم والأفكار
الموروثة ومن تملك هذه الأفكار بصياغتها فى عبارات أبسط
وأقرب الى الذهن أو بالباسها أثوابا أفخم .

فلم يخلقوا الشك بازاء المذاهب القائمة ولم « ينزلوا
الفلسفة من السماء الى الأرض » . فالمذاهب قد عفى عليها
بمجرد تعارضها وتناقض بعضها مع بعض ، وأفنى نقد زينون
الايلي أو تلاميذه : الأجزاء الرئيسية من المذاهب الكونية
بعضها ببعض حتى لم يبق منها الا رماد ، وأصبح دور من
يريد أن يفسر ما يجرى فى السماء أو يروى حدوث العالم
مضحكا ؛ لدرجة ان الهزليين لكى يهزءوا بالسفسطائيين

وبسقراط نفسه مزوا لاذعا دون أن يجهدوا أنفسهم فى غير طائل لم يجدوا خيرا من أن يدثروهم بهذا الثوب البالى .

عاش هذا الجيل الجديد على الأرض وتحول حب استطلاعهم الذهنى الى هذه الأرض والى الانسان الذى يحيا فيها ، أى نحو الجغرافيا والتاريخ والطب ودراسة « الأهوية والمياه والأماكن » من حيث تأثيرها الطبيعى والمعنوى ، ثم نشأة المدن وأصول القوانين والدساتير والفوارق بين الشعوب والاختلاف فى العادات والاعتقادات « عقلية البدائيين أو من يعيشون على الفطرة » - تلك هى المسائل التى تحدثوا فيها والعلوم التى أوجدوها ، وكان ايمان هذا القرن بقدرة الابتكار الانسانى ايمانا لا حد له . هذا الابتكار الذى كان يؤسس المدن ويوطد الشعوب ويبتكر الجماعات والأديان والآلهة .

ولم يكن شك مدرسة ولا قنوطا ميتافيزيقيا ولكنه كان قبل كل شيء يقينا عاما بقدرة الانسان التامة وهو ما يعبر عنه قول بروتاجوراس : « الانسان مقياس كل شيء » فهو يعتبر بعضها موجودا وبعضها الآخر غير موجود » . فان سنت المدن والقوانين ، فان هذه القوانين عادلة - أعنى لها قيمة طالما تراءى للمدينة أن تحتفظ بها ، وما له قيمة ها هنا ليس له قيمة فى مكان آخر ، كما أن ما له قيمة اليوم قد يفقدها فى الغد ، وتغير هذه القيمة يتوقف لا على ظروف مستسرة غريبة ولكن على الأحوال الروحية المتغيرة لطائفة من الأفراد ، أحوال روحية يوجهها الفرد الأذكى حسبما يهوى . وليس ثمة حالة روحية أصدق من أخرى ، انما هى أحسن منها فحسب ، أعنى أكثر فائدة وأكثر وفاقا مع الضرورات

القائمة - والرجل الذى يعرف كيف يعالج المعتقدات يتمثلها ويجعلها صادقة مثل الطبيب الذى يداوى أجسام مرضاه ويشفيها -

وصيغة هذه النزعة العملية أقل دقة عند جورجياس لأنه بدلا من أن يحلل بهذه الطريقة النفاذة الأحوال الروحية للذات وما تعنيه من تحولات نراه يقف طويلا كى يشيد بقوة الكلام أداة تلك التحولات - كان جورجياس أستاذا للبيان فحسب، كما كان يريد بروتاجوراس أن يكون معلما للفضيلة، أعنى المهارة فى الشئون الخاصة والشئون المدنية لذلك جعل جورجياس من الوسية غاية - فقد نشد المتعة فى القوة الاقناعية للكلام وفى الوسائل التى تؤيده وتبلغ به حد الكمال - ولم تكن تلك القوة الاقناعية ثمرة الدرس ولا ثمرة علم مكتسب متعلق بموضوع البحث ولم تنشأ عن اقتناع يمكن نقله ولكنها والى حد ما ، هبة فطرية فى الخطيب وهى الى حد أكبر سر من أسرار الكلام - ولا ينبغي أن تستخدم المناهج القويمة الا فى استخراج هذا « السحر الذى فى الكلمات » على أحسن الوجوه -

ولعل جورجياس لم ينكر فى تعاليمه العادية وجود حقيقة ما - ولكنه ذهب فقط الى القول بأن معرفتها غير مفيدة ذلك أنه فى كل موضوع « يكون نجاح من يحسن البيان فى امتلاك أعنة القلوب مؤكدا عن نجاح رجل المهنة مهما يكن أمره » - ونحن نرى أن الموقف فى جوهره عملى دائما - فليس المطلب هو المعرفة أو التعليم ولكنه العمل والدفع الى العمل - فالعقل الانسانى لا تسببه الحقيقة ولا تسيطر عليه، ولكن العقيدة هى التى تفعل ذلك والكلام المصوغ بفن هو

سيد هذه العقيدة • وليس فى وسع المرء أن يشيد بسحر
الكلم كما فعل جورجياس دون أن يمعن فى الاعلاء من شأن
ما هو أقل تأثرا بالعقل وما هو أشد تأثرا بالاندفاع
والعاطفة • وما هو ذا جورجياس قد أعلن أن الخطيب
لا يمكنه أن يتحكم فى العقيدة والرأى كما يشاء دون أن يهز
المشاعر • ومن بعده كتب ترازىماخوس مؤلفه « فن اثارة
الشفقة » وتخصص فى « البلاغة العاطفية » •

٥ - مذهب الشك

كانت معارضة العقيدة بالعلم نعمة قديمة فى الفلسفة
اليونانية • فاكسينوفان جد الفلاسفة الايليين قد أعلن منذ
أمد بعيد أن كل علمنا عن العالم ليس سوى ظن • وبارمينيدس
من بعده قد اعتبر العالم خداعا خالصا ، فتحول عنه باحثا
عن الكائن الثابت وعن الحقيقة « كما يعرفها الآلهة » • أما
أكبر تلاميذه زينون فلم يحتفظ الا بالجزء السلبي من
مذهب أستاذه • ولقد حطم كل علم نظرى عن طريق نقده
الهدام • ولدينا شخصية أخرى هى انبادوقليس من أجريجانتة
وأستاذ جورجياس اذ كان رجل المفارقات حقا • فهو على
العكس من بارمينيدس قد سلم فى صراحة بالحقيقة الانسانية
البسيطة وشرع فى قص حدوث العالم وتطوره • ولكن هذا
لم يمنعه من البحث فيما يتضمنه العالم من « حقيقة الهية »
التمسها فى بوارق الالهام عند الفرق الصوفية • فقد كان
انبادوقليس اذن فيلسوفا طبيعيا على النحو القديم مبشرا
بالنحلة الأورفية ، وخطيبا يهز مشاعر الجماهير ، وفنانا
يشعر شعورا صادقا بمدى ما تجمله كلماته ومواقفه من

احتيال فلهذا كله كان بمثابة حلقة اتصال بين العلم المهجور
وبين الايمان بالفعل الجبار .

وجد السفسطائيون اذن السبيل ممهدا . بعد أن زال
كل اعتقاد في الحقائق الانسانية أو الالهية على السواء ،
ولكن قوة الرأى العام أخذت تزداد شيئا فشيئا ، فكل مدينة
مهما ضؤل شأنها كانت دولة ذات سيادة . وفى هذه الدولة
وجدت طائفة على الحياد تتألف من الأنغال والعبيد وأقلية
ممتازة ألا وهى : المواطنون . وكانت الحقوق السياسية
وقفا عليهم فكانوا يكونون فى مجتمعهم « اكليزيا » كومة من
الأفراد متساوين فى حق التصويت وفى حرية العمل ، كما
كانت لهم روح الجماعة : روح تهتز وتخضع لكل نسمات
البلاغة . فلا ندهش اذن اذا كان السفسطائيون وتلاميذهم
قد اعتادوا ألا ينظروا الى أى موضوع الا من الناحية
الخطابية . واعتبروا معيار الحق والحقيقة ما للفكرة من
قدرة على الاقناع أو نصيب من النجاح ، فكان طبيعيا جدا
أن ينقلوا براعتهم فى الدفاع وطريقة « الأخذ والرد » فى
تمريناتهم المدرسية الى أجل المشاكل خطرا والى مناقشة أشد
المبادئ أهمية . وعلى هذا النحو حولوا الشك السائد فى
ذلك العصر الى صيغ وحجج ، وساهموا فى تحطيم كل ما كان
يمكن أن يقف حائلا دون أطماعه فى القوة والسيطرة .

ليس للفعل الانبساطى مصدر ولا مادة غير الانسان :
فعلام اذن هذا الاهتمام بكائنات خفية ليس فى الوسع أن
نشهد لها أثرا أو وجودا ؟ . وعند هذا الحياد وعدم
الاكتراث وقف بروتاجوراس يقول : « لا يمكننى أن أعرف
ما اذا كان ثمة آلهة أو لا ، كما لا أستطيع أن أعرف صورهم »

هذه مسألة قليلة الحظ من الوضوح وما أقصر عمر الانسان! «
وقد تواتر منذ عهد اكسينوفان فى الواقع القول بأن الانسان
يخلق الآلهة على صورته . ولكن اكسينوفان لم يعترض على
هذه الآلهة البشرية الى حد كبير الا لكى يؤكد على خير الوجوه
السمو الالهى . والمعتقد أن ترازيماخوس لم يكن يود أن
تفلت من يده هذه الحجة ضد العناية الالهية وأعنى بها حجة
انتصار الأشرار . أما بروديكوس فقد فسر أصل الآلهة بأن
قال : « لقد أله الانسان ما ينفعه : الشمس والنجوم التى
تضيء له ، وديونيزوس وديمترىوس اللذان يقسومان من
أوده » .

ما عسى أن يكون أثر هذه المذاهب التى يتجاوبها كل
مكان فى الفتى أفلاطون ؟ لقد « ارتشف مع لبن الرضاع
هذه المعتقدات المليئة بالسحر ، التى وصلت اليه عن طريق
أحاديث الأمومة العذبة ، والمذبح الفخم ، والصلوات التى
تعقب العبادة المنزلية كل يوم » . والى أن بلغ عامه الرابع
والعشرين ، كان يتحدث فى شئ من الحماس عن دروس النسك
العائلية هذه . وكانت له فى طفولته تلك الروح الشاعرية
التي ظل محتفظا بها حتى يومه الأخير ، الى جانب هذا النظر
القلبي الذى يخلع الصورة على ما لا يرى . ولكن بأية لهجة
مليئة بالرحمة الرفيقة سيعظ فى شيخوخته هؤلاء الشباب
الذين كان يدفعهم كل شئ الى الفسوق : نتيجة تهور الشباب
واندفاعه وتآمر كل هؤلاء المعلمين الجهلاء فى غير وعى ،
من شعراء وخطباء وعرافين وكهّان ، ثم علم الفلاسفة
الكاذب ! أناشدكم الله أيها الشباب ^{فإن} تنصتوا الى : « لا زلتم
أحداثا وسيغير الزمن من شعوركم فانتظروا الى ذلك الحين ،
ثم أصدروا حكمكم بعد ذلك فى هذه المسائل الخطيرة » .

ثَقُوا فِي شَهَادَتِي فَلَسْتُمْ أَوَّلَ مَنْ تَحْدُثُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ عَنْ
الْآلِهَةِ . وَلَقَدْ وَجَدْتُ دَائِمًا مَنْ تَحْدُثُ بِهَا وَعَرَفْتُ مِنْهُمْ كَثِيرِينَ .
أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ أَنْكَرَ وَجُودَ الْآلِهَةِ فِي شَبَابِهِ قَدْ
اسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ إِلَى أَنْ بَلَغَ الشَّيْخُوخَةَ .

لَقَدْ كَانَ أَفْلاطُونُ فِي شَبَابِهِ كَذَلِكَ مُتَغَطِّرًا تَوَاقًا إِلَى
الْحَيَاةِ ، وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ ، سَهْلَ التَّأَثُّرِ كَأَيِّ شَابٍ آخَرَ . فَإِذَا
كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَزْدَرِيَ أَوْ عَلَى الْأَقْلِ يَتَجَاهَلَ الْآرَاءَ الدِّينِيَّةَ
لِلْأَسَاتِذَةِ الَّذِينَ لَمْ يَنْصِتْ إِلَيْهِمْ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ حُبِّ الاسْتِطْلَاعِ
وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ كَيْفَ يَحْسُنُ التَّحَدُّثَ فَحَسِبَ ، فَكَيْفَ
يَتَأْتِي لَهُ أِذْنٌ أَنْ يَتَجَاهَلَ أَفْكَارَ قَرِيبِهِ وَصَدِيقِهِ أَقْرِيتِيَّاسَ ؟
لَقَدْ كَانَ هَذَا شَاعِرًا هُوَ الْآخَرُ ، وَلَكِنْ شَعَرَهُ مِنَ النُّوعِ الْجَافِ
الْخَالِي مِنَ الرُّوحِ الَّذِي يَصْلُحُ لِلتَّهْكِيمِ أَوْ لَعَلِّهِ يَصْلُحُ لِتِلْكَ
الْبِسْمَةِ الْمُقْتَنَعَةِ بِالْإِنْكَارِ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْمِلُ عَلَى الْإِعْتِقَادِ أَنْ
يَعْبُلَ دِرَامَتَهُ سِيزِيفُوسُ كَانَ مُتَرْجِمًا عَنْ فِكْرِهِ الصَّحِيحِ حِينَما
قَصَّ عَلَيْنَا كَيْفَ يَتَقَدَّمُ الْإِنْسَانُ بِخَطِيئَةٍ بَطِيشَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ
الْحَيَوَانِيَّةِ إِلَى أَنْ يَرْتَفِعَ إِلَى أَعْلَى الْأَفْكَارِ الْخَلْقِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ .
وَلَكِنْ كَلِمَةُ « أَفْكَارَ » هُنَا غَيْرُ مُنَاسِبَةٍ : فَهِيَ مَخَافٌ وَمَخَافٌ
مَوْحَى بِهَا تَغْذِي بِمَهَارَةٍ فَائِثَةٍ . هِيَ أَكْذُوبَةٌ حَكِيمٌ قَدْ خَلَقَ
الْآلِهَةُ شُهَدَاءَ مُنْتَقِمِينَ لِلْجَرَائِمِ الشَّدِيدَةِ الْخَفَاءِ . وَالْجَمَاعَةُ
بِغَرَاثُهَا وَمَعْتَقَدَاتِهَا وَكُلُّ مَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ كُلُّ هَذَا
اصْطِلَاحٌ وَتَوَاضَعٌ وَصِنَاعَةٌ مُقْصُودَةٌ . فَإِذَا كَانَتْ مِثْلُ هَذِهِ
الْمَذَاهِبِ قَدْ ظَهَرَتْ دُونَ أَنْ يَعُوقَهَا عَائِقٌ مَا ، فَلِمَ إِذَا أِذْنٌ لَمْ
تُفْسِدِ الرُّوحَ الْجَمْعِيَّةَ ؟

البيئة السياسية

١ - السياسة الواقعية

ان القيد الذى تثن منه ارادة القوة أنينا موجعا هو ذلك الشيء الهش العنيد الذى يسمونه : الحق . فانه يعوق ارادة القوة فى مناوراتها وفى التمتع بما تظفر به ، وهو لا يسام ولا يموت ، ويحول بينها وبين أن تفرض نفسها . ولما كانت حريصة على تبرير عنفها ، فانها تنعت احتجاجات المقهور بالنفاق : « لا يلعن الظلم الا من لا يقوى على ارتكابه » .

وفى وسعنا أن نتساءل ما اذا كان ترازيماخوس الذى نسب اليه أفلاطون هذه العبارة قد قال حقا فى تعاليمه ان العدل منفعة الأقوى ، وان بولوص تلميذ جورجياس قد أيد حقيقة الرأى القائل بأن الظلم التام والطغيان الظافر هو السعادة العليا . فمؤلفاتهم ليست بين أيدينا . ولكن لدينا التمرينات المدرسية نقلها طالب سفسطائى قدم فى مؤلفه « الأقوال المزدوجة » . ففصله المعنون « فى العدل والظلم » ، يشهد بأن هذه التعاليم قد ولدت الشك الذى قاد الشباب من الخطباء الى أن يتناولوا ، بالتأييد أو الانكار ، جميع المسائل حتى مسائل الأخلاق الاجتماعية . وتوقيديدس شاهد من طراز آخر . فهو ينسب هذه الصيغ من السياسة الواقعية الى

ممثلي أثينا أنفسهم حينما كانوا يجادلون الميلىين قائلين :
 « الناس كالألهة يبغيون السيطرة . فإذا تساوت الضرورة بين
 الطرفين انتظموا على العدل . وإذا اختلفت شطح الأقوياء الى
 أقصى حدود قوتهم وليس على الضعفاء الا الخضوع . هذه
 هى القاعدة الثابتة منذ الأزل ، أن يكون الأضعف خاضعا
 للأقوى » .

ليست هذه الأشياء لدى المؤرخ ذكريات بالية من عهد
 المدرسة ، وانما هى المبادئ التى سيطرت فى تلك الآونة على
 سياسة جميع الولايات اليونانية وهى التى انقادت لها
 الأحزاب فى كل ولاية . وفى الصراع الذى قام بين أثينا
 واسبرطة منذ عام ٤٣١ ق . م وشمل جميع مقاطعات اليونان
 على وجه التقريب بالمعارك أو الدسائس ، لذ لاسبرطة أن
 تنصب نفسها بطلة الدفاع عن حرية المدن الصغيرة ضد
 الاحتلال الأثينى . ولكن مذهبها هذا فى الحرية لم يصدر
 الا عن حقد لها الأزرق ضد أثينا ولم يمنعها فى سنة ٤١٢ ق . م
 من أن تؤدى مساعدتها المالية وحلفها مع ملك الفرس
 بمعاهدة سلبت المدن الأيونية ما تمتعت به من استقلال خلال
 ٧٠ عاما وأنكرت فيها ماضى بلاد اليونان المشترك .

وبالقدر الذى تسمت به الوطنية اليونانية من جراء
 هذه الحرب بين المدينتين تسمت كذلك الوطنية المحلية
 فسرعان ما أصبحت هذه الحرب لا حربا بين سياستين فقط ،
 بل وحربا بين الطبقات لا هوادة فيها ولا لين . ولأول مرة
 فى كوركيرا عام ٤٢٧ ق . م وهى نفس السنة التى ولد فيها
 أفلاطون ، أضافت الحرب الداخلية بين الأرستقراطيين
 والديمقراطيين الى فظائع الحرب الخارجية وحشية تفوقها

فضاعة • واغتصب الأرستقراط الحكم عنوة بتأييد كورنثوس
واسبرطة • فقامت معارك دامية في الشوارع ، وفي
المنازل ، ونهبت المدينة وأحرقت • أما في البحر فان
الأسطول الاسبرطى - الكورنثى كان يفر من الأسطول الأثينى ،
وهكذا استعاد الديمقراطيون الثقة ؛ فظلوا سبعة أيام
يحاكمون ويتهمون ويقتلون من بقى من أعدائهم ممن لم
يقتلوا أنفسهم ياسا وغضبا • وسرعان ما عانت بلاد اليونان
كلها هذا التمزق • وهكذا انقسمت كل مدينة على نفسها
وأهاب رؤساء الأحزاب الشعبية بالأثينيين بينما أهاب
الأرستقراطيون باللاقوديمونيين • وتحت ستار ايجاد
المساواة أو إعادة دستور الأجداد ؛ لم يفعل رؤساء هذه
الأحزاب أو تلك أكثر من أن يتناوبوا السلطان فيما بينهم
ارضاء لمطامعهم أو لتراثهم • وأصيبت أثينا نفسها وهى
حصن الديمقراطية بهذه النكبة فرأت دستورها يتزعزع
وحريتها تختنق فى الدماء ثم تبعث بالدماء ، وفشلها أو
نجاحها لم يعودا الا تعلقة للشورات • وأخذ أعداؤها عن اعتقاد
أو عن هوى يسلحون قواتها أو يهدمون قلاعها عن طريق
مواطنيها أنفسهم • وهكذا عاش أفلاطون ، بين الخامسة عشرة
والثلاثين من عمره ، فى كل هذه الأحداث الرهيبة •

٢ - نكبة صقلية

وحكومة الأربعمئة

أبرمت فى عام ٤٢١ ق م معاهدة سلام بين أثينا واسبرطة
عرفت ب « سلام نيقياس » • ولكن الشكاوى المتبادلة من

الطرفين وحركات التحالفات الدفاعية بدأت منذ اليوم الثانى لابرام المعاهدة . وأصبح هناك حزبان جديداً يواجه أحدهما الآخر : اسبرطة مع طيبة وكورنثوس ، وأثينا مع أوجوس وايليس وماتتيانه . وكان أول انتصار دبلوماسى أحرزه القيبىادس هو نجاحه فى عزل اسبرطة عن هاتين المدينتين الاخيرتين ، كما كان يحلم بانتصارات حربية يمكن أن تهيب له مركزاً مساوياً لذلك الذى كان لبريكليس الوصى عليه . فأيد بكل ما أوتى من قوة حملة صقلية حينما اتى سكان سيجننت شتاء عام ٤١٦ ق م طالبين النجدة ضد سراقوزة . وكانت أغراض هذا المشروع مقبولة كما كانت فرصة للنجاح جميلة . ولكن عرقل الحملة أن كان القائمون على أمرها هم لاماخوس الجندى الممتاز المطيع الى حد كبير لأراء زملائه ، ونيقياس كبير الأرستقراطيين وعدو القيبىادس ، وكان كثير التردد فى القيام بتلك الحملة وطالما رغب فى منعها ، والقيبىادس الذى كان لتأثيره وعلمه الحربى ودسائسه ما مكن المشروع من النجاح رغم الوقت الذى ذهب هباء فى أول الأمر . ولكن مركزه سرعان ما تزعزع حينما نسبت اليه تهمة أرغم على ألا يجيب عليها ؛ فاستدعى فى سبتمبر عام ٤١٥ ق م للعودة الى أثينا وهناك مثل أمام قضاة .

حدث فى اللحظة التى كانوا يعدون الأسطول للرحيل فى ليلة من ليالى مايو أن وجدت تماثيل هرمس وقد شوهدت وجوها . تلك التماثيل التى كانت توضع أمام المعابد أو المنازل الخاصة والتى شرفها الأثينيون أكثر من غيرهم فى عبادتهم . فلما زایل الشعب ذهوله نادى بأن هناك مؤامرة . فقدمت اتهامات عدة : استهدف لها أول الأمر القيبىادس فاتهم بأنه قد مثل الأسرار بطريقة ساخرة

فى أحد الاجتماعات المرحية • ثم اتهم أيضا عدد من الشباب الذين ينتسبون الى أرقى الأسر • قيل انهم وجدوا وهم يعبثون بتمثال هرمس: وكان بينهم أقريتياس وأندوسيدس أحد أبناء عمومته • فثارت ثائرة القيببيادس وطلب المحاكمة؛ رغبة ملحة منه فى أن يزعم الاتهام • ولكن أعداءه فضلوا الانتظار حذر الشعب والجيش • وقد فضلوا هدمه دون اتهام أثناء غيابه • وأجلوا تقديمه للمحاكمة حتى يكون مركزه قد تضعف • رحل القيببيادس اذن مع الحملة ؛ ولكن أقريتياس ظل سجيناً مع المتهمين الآخرين • وكان الموت سيكون نصيب الجزء الأكبر منهم لو لم يعلن أندوسيدس عن نفسه أنه على رأس التآمرين فأنقذ بهذا الاعتراف أو بهذه الكذبة حياته وحرر الباقين • ولما اتضحت مسألة هرمس على هذا النحو تحول غضب الشعب نحو مدنس الأسرار • فأرسلت سفينة السلامية لاعادة القيببيادس ؛ ولكنه كان قد اختفى خلسة أثناء الطريق ، وهرب فى البلوبونيز • وقد حكم عليه قضاة أثينا بالموت ، فكان رده السريع أن دفع اللاقيديمونيين الى مساعدة سيراكوسه ؛ مشيراً عليهم بتوجيه هجماتهم نحو البر ليحطموا قوة أثينا • وكانت نصائحه فعالة الى حد جعل الحملة ابتداء من سبتمبر ٤١٣ ق م تتردى فى نكبة هائلة فكان هذا بالنسبة لأثينا بمثابة الخطوة الأولى نحو الدمار •

جيشان يخضعان وينفذ فى قائديهما حكم الاعدام • وسبعة ملايين من المساجين يموتون من البؤس داخل المناجم • أما الذين امتد أجلهم فبيعوا عبيداً ، وفقد الجزء الأكبر من الأسطول • رفضت أثينا فى ذهولها أن تصدق ذلك ولكن اليونان بأسرها رأتها وسارعت تعجل دمار الدولة التى ظلت حتى ذلك الحين غير قابلة للهزيمة • فشيدت اسبرطة أسطولا

وتحركات الدول المحايدة لتأخذ نصيب الكلب من الغنيمة
وثارت الممتلكات الأثينية . أما أثينا فتنبّهت وقدرت الأمر
من جميع النواحي وسرعان ما رأت أن مجلسا من خمسمائة
مندوب كان بمثابة رؤوس عديدة لجسم واحد عليه أن يعد
وينفذ على أكمل وجه أخطر القرارات . فعينوا من أجل
هذا عشرة مندوبين محضرين تمتعوا في الواقع بكل سلطة
مجلس الخمسمائة . وتوالت بعد ذلك إصلاحات أخرى .
ولكن الاسبرطيين احتلوا دقلية التي تبعد عن أثينا عشرات
من الكيلومترات وعسكرت قواتهم على مرأى من أثينا نفسها
وكانت تسيطر على السهل والجزء الأخصب من أتيكا .
وحجز ذهب لاريون ، وتعهدت الفرس بأموالها الأسطول
اللاقيديموني الذي عززته أثينا وعشرون سفينة صقلية .
وآن الوقت لمشروعات الإصلاح الجدية ولكنه آن كذلك
للدسائس وللضربات العنيفة .

فهاجم جماعة من الأوليجاركين المعتدلين يقودهم
ترامينيس وهو ابن أحد المندوبين الجدد قد ادعوا أنهم
يرجعون إلى دستور خرافى لدارقون كان قبل سولون . وكان
أنتيفون الرامنوسى وبزندروس وفرينخوس مناصرين لأشد
أنواع الأوليجاركية تطرفا . كل هؤلاء قد سارعوا فى نفس
الوقت؛ ليحولوا دون رجوع القيبىادس وليستغلوا الهياج الذى
تحدثه دسائسه ووعوده لأن أستاذ السياسة هذا ، أخذ يقوم
فى ذلك الحين بمناورات من شأنها أن تسلب اسبرطة المزايا
التي أعطائها لها وأخذ يعمل بقوة لكي يحول إلى أثينا ذهب
تيسافرن . وأعدت جماعات الأوليجاركين السرية الضربات
فى الظلام ، فقتل الفتيان من حراسهم ، الديمقراطيين ،
ولم تكن الجمعية لتصدر القرارات إلا تحت ضغطهم ، وشمل

الارهاق والالاتهام الشعب بأسره • ونفذت المؤامرة بين مايو ويونيه فتقرر انقاص عدد أعضاء المجلس العالى ، وأن تحفظ الحقوق السياسية للخمسة آلاف مواطن القادرين على التسليح على نفقتهم • أما من يكون هؤلاء الخمسة آلاف المميزون فهذا ما لم يذكروه بعد • ولكن اختير أربعمئة مستشار لانتخابهم ولتقسيمهم وليباشروا السلطة مؤقتا • فاجتمع الأربعمئة متأبطين الخناجر ومحاطين بمائة وعشرين من حراسهم الفتيان • وذهبوا لاخلع المجلس القديم الذى غادر المكان دون أن ينبس بكلمة • يقول المؤرخ — وهكذا بعد أن تحررت أثينا من الطفليان مائة سنة أكملت هذا المشروع الذى بدا عسير التحقيق ، ألا وهو أن تسلب الشعب حرية • هذا الشعب الذى ظل زمنا طويلا غير خاضع لانسان ، فضلا عن أنه اعتاد أن يحكم الآخرين » •

ناهز أفلاطون السادسة عشرة من عمره فى ذلك الحين • ولم يكن يتوقع بطبيعة الحال ، مثل جميع من كانت لهم ظروفه من الشباب ، عملا آخر يوم يصبح حر التصرف سوى أن يلقى بنفسه على الفور فى أحضان السياسة • وان كان هذا المستقبل قد بدا بعيدا فان الشاب قد امتلأ شعورا بأن هنالك مصيره وواجبه ، فلم يتوقف لذلك عن متابعة الحوادث فى اشتياق مشوب بعاطفة • هو شوق يميل الى جانب الوضع الجديد للأشياء ، لأن قريبه أقريتياس ، مما لا شك فيه ، كان أحد أفراد الأربعمئة ، ولم يكن لأقريتياس فى الحكومة النفوذ الذى كان يصبو اليه لأنه كان يمثل حزب القيبيادس الذى نظر اليه الأوليجاركيون المتطرفون نظرة ارتياب — ولعله قد فضل هذا النوع من الاختفاء الذى شعر بأنه مؤقت • لأن

القيبيادس لما لم يتل نصيبه من تلك الثورة التي قامت من أجله والتي استمرت دون أن يشترك فيها ، كان قد تحول نحو أماني جديدة ، ونحو دسائس جديدة •

ولعله لم يبق أمام الفريق المنتصر من عمل آخر يستحق الانجاز بعد أن ارتوى من انتقاماته المهمة • وبعد أن أزال الحجب التي تحجب عنه غايته ، إلا أن يعقد السلام بأي ثمن مع لاقيديمونيا • ولكن هذا الفريق بدأ يلاحظ منذ لحظة وجيزة أن الأسطول الأثيني وجيش ساموس وعلى رأسهما ترازبولوس وترازيلوس ، أقسما أن يعيدا الحكم الديمقراطي وأن يستمرا في الحرب حتى النصر • وأن ينظروا الى حكومة الأربعمئة كسلطة معادية • وبمساعدة ترازبولوس استعاد القبيبيادس بسحر وعوده ، ثقة جيش ساموس الذي انتخبه بدوره قائدا واثقا من أنه سيحصل بفضله على ذهب تيسافرن وأنه سيعود معه الى أثينا منتصرا •

وحينئذ كشف المعتدلون عن دسائس المتطرفين الذين سعوا سعيا حثيثا في الاتفاق مع اسبرطة وحصنوا ارسفة بيريح تجنباً لغضب أثينا وغضب ساموس معا ، وهكذا أمكنهم أن يلاقوا العدو كما يشاءون في البيرا وفي البحر ، فصاح تراميتوس بأن هناك خيانة واتخذ الشعار الذي نادى به القبيبيادس وهو : ايقاف حكم الأربعمئة واعادة حكومة الخمسة آلاف اعادة فعلية • أما فرنيخوس فقد اغتيل وفر قاتله • فلما هزم الأثينيون على أبواب أرتريا وخسروا يوبية التي كانوا يستمدون منها المؤن ، صمموا على اسقاط حكومة الأربعمئة وعلى اعادة السلطة الى الخمسة آلاف وطالبوا باعادة المنفيين • فحكم على أنتيفوس والتجأ بيزاندر

والمتطرفون الآخرون الى دقلية واعد أقريتياس الذى كان مختلفا مع ترامينوس بالاتفاق معه ، التصويت الذى نادى بالقيبيادس ودعاه لتولى مهام الأمور .

وبفضل اتحاد متزن بين الديمقراطية والأولجاركية ؛ تنفست أثينا الصعداء وبدأت حياة الاستقرار . وفى ذلك يقول قيوسيديد : « لم يحكم الأثينيون حكما أصح مما كان فى هذه الآونة الأولى » ولا يختلف حكم أرسطو عن ذلك .

وحينما قاد القبييادس الأسطول ، ربح ترامينوس وترازيبولس عام ٤١٠ ق م معركة سيزيوقوس وأعادوا غزو ساحل البحر الأسود وأعيد مجلس الخمسمائة ، واستقرت الديمقراطية التامة التى استمدت وحيها من قليفون فرفضت مهادنة اسبرطة وصممت على الاستمرار فى الحرب حتى النهاية . وفى عام ٤٥٨ ق م أعيد غزو البوسفور . وفى ربيع عام ٤٠٧ ق م ، عاد القبييادس الى أثينا ، وقلد نفسه شرف حراسة الموكب السنوى لأثينا الذى كان يسير من أثينا الى ابليسييس .

هذا الاصلاح فى الدولة الأثينية بدأ يقلق بال دارا فأرسل ابنه الأصغر قيرس الى سارديس ليحل محل تزارفن وعين الاسبرطيون من ناحيتهم أميرا جديدا للبحر هو ليزندريس . وفى أثناء غيبة القبييادس وبالرغم من دفاعه الشكى اشتبك قائمقامه أنتيخوس فى معركة مع أسطول ليزندريس فى نيتيوم . ولما خسرها هرب تاركا وراءه خمس عشرة باخرة طعاما للماء . وبذلك فقد القبييادس هيئته وعزله الشعب فاحتفى فى أحد قصوره المحصنة فى خرسوتيزا . وجر سقوطه سقوط أقريتياس كذلك . فتذكر قليفون مشاركة هذا فى حكومة الأربعمائة واتهمه بابتغائه

للطغيان واتخذ من مرثية سولون القديمة حجة تؤيد القول بأن هذا المطمح وراثي في عائلة أقريتياس ودروبيدس . فكان ان فر أقريتياس الى تساليه حيث وجد مادة غير منتظرة لحبه في القتال ، فحاول مع من يدعى بروستيوس أن يثير حركة ديمقراطية بتسليحه العبيد ضد السادة .

وفي تلك السنة (٤٠٧) ق . م التي رحل فيها أقريتياس الى منفاه ، تعلق أفلاطون بمصاحبة سقراط وكانت سنة عشرين عاما .

٣ - محاورات سقراط

لقد عرفه منذ أمد بعيد . ومن من بين الجمهور الشاب الذي كان يتردد على المراضات والملاعب ومن من بين جمهور الأثينيين على اختلاف أعمارهم لم يألف منظر فيلسوف الشارع هذا . . مضت حياته بأكملها في الخلاء « فكان يذهب مبكرا الى أماكن النزهة والملاعب . وكان يرى في الأسواق في الأوقات التي يشتد فيها الازدحام . وفي المساء ما كان يلتئم جمع الا ويحضره باحثا عن علة للمناقشة » .

لقد صحبه أقريتياس وخرميدس منذ زمن بعيد وظلا محافظين على العهد حتى عام ٤١٥ ق . م على وجه التقريب . . حينذاك جذب أقريتياس في عنف أثر سياسة القيببيادس ، ثم جذب معه خرميدس المتواضع شيئا فشيئا . وكم من مرة سمع أفلاطون الطفل محاورات سقراط يرويانها فيما بينهما . تلك المحاورات التي كانت تفيض بالمر والطيبة والسخرية اللطيفة ، ولكنها كانت تفيض أيضا بالسمو والنبيل ! ها هو

ذا سقراط بين اعجاب مستمعيه الشديد يكشف عن عجز أحد السفسطائيين في البلاغة - وها هو ذا مرة أخرى يستنر من تناقض المواطنين الاثينيين أولئك الشجعان الذين يكثررون التدقيق حتى يختاروا حدادا أو نجارا لأعمالهم الخاصة ، في حين أنهم يستسلمون للبهت وللقرعة في اختيار حكامهم ! ان تهكمه قد أصبح لاذعا قاسيا حين يلهب به ظهور أولئك السياسيين الجهلاء المدعين ، الذين يعتقدون أنهم أخيار ، لمجرد تمكنهم من الكلام ومعرفتهم لشيء من البيان ، ولأن أطماعهم لا حد لها - تبع التهكم صوته الرصين وتبعته المناقشة العميقة الأسئلة البسيطة واتخذت أحاديث اقريتياس وخرميدس اللذين كانا يفسران فيما بينهما المشاكل التي وضعها سقراط ، صبغة جدية ، سرية - هذه الأسرار نفسها ، وكذلك روح الشجاعة والاخلاص التي لا توجد الا لدى الفرسان والتي جرى ذكرها على ألسنة من شاهدوا سقراط في ميادين القتال ثم تلك الهالة من الشعر التي تنثر من تلقاء نفسها على كل ما يحرك حرارة قلب غلام صغير ، تضافر كل هذا على أن يخلق في مخيلة أفلاطون شعورا سابقا وتوقعا لرجل يختلف كثيرا عن الباقين ويفضلهم كثيرا في نفس الآن .

ومع ذلك فانه لم يسع الى رفيقه الا متأخرا - لقد دار من قبل على السفسطائيين كهاو يلتقط من هذا وذاك فكرة متضاربة ونموذج جملة براقية ، أو استدلالا بارعا ، أو إشارة ، أو موقفا ، أو تصنعا للمعظمة وللبراعة ، تلك الأشياء التي اشترك مع رفاقه في السخرية منها أولا بأول أو التهكم عليها في قرارة نفسه - فانتقل الى المسارح حين شب وترعرع بعد أن كان يتملى بالنظر الى المشعوذين والى خيال الظل - وفي حوالى الثالثة عشرة حضر تمثيل رواية العصابير لأرستوفان ،

وبعد ذلك بثلاث سنوات فى الوقت الذى اشتدت فيه نكبة صقلية على أثينا ، سمع ليزستراته تنتهز هؤلاء اليونانيين الذين يهدرون دماءهم على مذابحهم والذين يتقاتلون فيخربون مدنهم اليونانية الجميلة بينما كان الأجانب متأهبين بأسلحتهم . وفى هذه السنوات الأخيرة نشر سوفكليس روايته فيلوكتيئوس ونشر أرسطوفان يولوتوس الأولى ونشر يوروبيدس أورستا ثم أتباع باخوس حيث أطرى الوجد الصوفى . ولقد حاول أفلاطون نفسه أن يقرض الشعر وتمنى بكل جوارحه لو حذا حذو يوروبيدس . ولكن ملاذا آخر وواجبات أخرى شغلته عن تلك الغاية فكانت أمامه الرياضة التى تحتل مركزا مهما فى حياة كل فتى نبيل ثم شغلته التمرينات العسكرية ومشاركته فى الذود عن حياض الوطن حينما أقسم فى سن الثامنة عشرة يمين الجندية .

وكان يشعر من آن لآخر بحاجة الى الاشتراك فى معامع الفلسفة . فاختارت له أسرته أستاذا هو اقراطليوس الأثينى . وهو تلميذ هرقليطس الذى سار بمذهب حكيم افسوس (هرقليطس) الى أبعد ما يمكن أن يصل اليه . فكان لا يكتفى بأن يردد تلك الكلمة المشهورة : « كل شيء فى سيلان دائم ولا شيء يثبت على حاله ، ولا يمكن أن ينزل انسان فى نفس النهر مرتين » . بل كان يقول : « لا يمكن أن ينزل الانسان الى النهر ولا مرة واحدة ، لا لأن شيئا ما لا يبقى على ما هو عليه فحسب بل مادام كل شيء يتلاشى بمجرد ظهوره ، فان شيئا ما لا يبقى مدة كافية لأن تدركه أو لأن تعرفه عقولنا . ولا يمكننا من هذه الترهات التى تتتابع أن نثبت شيئا أو أن نقول شيئا . ولا يمكننا الا أن نؤمن مشيرين برفع الاصبع ! » وقد تركت جولة فلسفته الحية وبراعتها النفاذة أثرا راسخا

فى نفس أفلاطون • ووجد الشاب فيها أقوى صورة من صور هذا الشك العقلى ، الذى تضافر على بثه فيه دروس السفستائيين ومحادثات اقريطياس ، بل والهواء الذى كان يستنشقه فى ذلك الوقت •

ولكن ما كان للقلب أن يشك فى سن العشرين • فان بقية من الحرارة فيه لكافية بأن تجعله يجيب عن شكوك الروح أو عن نكراتها بتأكيدات من عنده هى تعبير عن رغبته فى الحياة وعن ايمانه فى وجوده وفى قوته • رغب أفلاطون فى الاندماج فى الحياة بكل ما أوتى شبابه من حمية • فلاحظ أن زمن المدرسة قد انقضى ، واستشعر من نفسه نضوجا يهيؤه لتكوين أكثر تعقيدا فجاء يطلب من سقراط ، كما فعل القيببيادس واقريطياس وخرميدس نفسه ، أن يعده للسياسة • وكان نفى اقريطياس الذى حرمه من رائده المعتاد سببا آخر يجعله يبتغى فى سقراط اليوم أمينا على رغباته ، وموجها لدفة طموحه ، وهو طموح كان يحس بأنه عظيم ونبيل متناسب مع أسرته ومع نفسه ومع هذا الأستاذ الذى طالما رغب فيه •

كان سقراط قد بلغ فى تلك الآونة ما يقرب من ثلاثة وستين عاما وكان يعرف عنه — كما ذكر ذلك عن نفسه دون خجل — أنه كان ابنا للنحات صوفرونكس وللسيدة الحليلة فيناريتا • وكان أثينى الجنس مواطنا قد سجل اسمه فى ثبت احدى الولايات • خدم كجندى محارب فكان مبرزاً فى مناسبات عدة ؛ ولكنه لم يتخط حدود أثينا مطلقا لسبب آخر خلاف الحرب • هذا ما كان يميزه بوضوح عن أولئك السفستائيين الأجانب الذين اشتركواياهم فى حياة

متشابهة الظاهر . وزجه آخر من أوجه طرافته أنه لم يشغل بمال ، وقد كان يحضر لسماعه من يريد فما كان يتناول أجرا على معاوراته بل كان يقول بصراحة ان قبول الأجر نوع من العبودية . وتجارة الحكمة هي تجارة الحب فبالقيام بها تعلق سقراط بالعقول والقلوب . ولما كان قد أخلص بطريقة أدبية كانت تخفى في الكثير الغالب مخازي كان يتسامح فيها العالم القديم الى حد كبير ، كان له أن يتخذ مظهر من « يتابع الجمال » ولكن هذا التعبير كان تعبيرا مجازيا شائعا وعلى ذلك ظلت شهرته كما ظلت حياته نقيتين على الدوام .

وأى علم وأى تعاليم تلك التى يمكن أن يبيعها ؟ انه يتظاهر بأنه لا يعلم شيئا ولا يعلم (بضم الياء وتشديد مع كسر اللام) شيئا ، ولم تكن له فى الواقع طريقة الأستاذ أو المحاضر . لقد كان رجل سؤال دائما . ففضوله لم يبق على شخص ولم يتراجع أمام أى شيء . كان يستجوب السفسطائى فى صميم ثقافته ، والصانع فى صميم حرفته ، حتى وصل به الاستجواب الى العاهر تيودكتيه وهى جالسة أمام مرآتها تهيب سحرها . كان يستوقف الشاب فى الطريق أو يستجوبه فى الملعب وسط رفاقه . وطالما تعلل برغبته فى الثقف فسلط على خطيب بعيد الصيت أو سياسى مشهور استجوابا منظما . هو لا يعرف أكثر من وضع السؤال وتقبل الجواب فيقلبه على كل وجه حتى يظهر فساد . فيسأل سؤالا آخر ويعيد الكرة ويظل كذلك حتى يعترف المبتلى بأسئلته ويسلم معه بأنه لا يعرف شيئا ، أو قد يرغب على اظهار جهله بالأشياء التى كان يعتز بمعرفتها فيلقى بنفسه فى مهاترات لا طائل تحتها أو يذهب عنه مضطربا . والحال أن سقراط كان منهلا شديد الزحام ، فلم يجد شباب الأسر الغنية الذين اتسع وقت فراغهم منظرا

أعذب من منظر أولئك الرجال المبجلين الوائقين بأنفسهم وقد طامنوا من كبريائهم أمام هذا القاضى المتشع بثوب التلميذ . وكانوا فيما بينهم يتنافسون فى تطبيق هذا المنهج الرائع على أكبر عدد ممكن من الضحايا . ولم يعوز هؤلاء الشبان أن يجدوا بدورهم علما باطلا يكشفون عما فيه ، ولا مغرورا يثيرون حفيظته .

كثيرون هم هؤلاء الذين لم يروا فى سقراط أفضل من هذا فترددوا عليه باعتباره الجندى المحنك والمتحدث بسديد الرأى فى المسائل القضائية والسياسية ، وهل كان للتفنيد السقراطى فى رأى ثلة الشبان الطموحين المتهافتين على اللعب معنى آخر أنفع من هذا المعنى ؟ شعر أحسنهم حظا فى المواهب أمثال القبييادس واقريتياس أحيانا بوخز تفنيده فى أعماق أعماقهم . وكشف الغطاء عن عجبهم واتضح فراغ حياتهم فولولوا من الافحام والغضب . ولكن ارادة القوة العمياء اتقدت فى قلوبهم وناداهم أتباعهم وقد نفذ صبرهم وسلم العالم لهم نفسه ، فأرخوا جفونهم دون سقراط الحقيقى خوفا من أن يفهموه أكثر مما يجب واتخذوا منه فى آخر الأمر سفسطائيا أكثر جاذبية وأقدر على تكوين النفوس .

ويمكننا أن نتخيل أفلاطون وهو يسعى الى سقراط تصاحبه ثقة مشوبة باعجابه الطويل الساذج . ومع ذلك فقد اضطرب منذ أول محادثة لما كان فيها من قلة تطف . ويحتمل أنه قد عرف أن سقراط لم يعالج فروضا أو نظريات تتصل بالطبيعة والسماء والآثار العلوية ، وأنه اهتم فقط بالانسان وبسلوك الانسان فى المدينة التى يحيا فيها . ولعله قد وعى

من روايات أعمامه وكذلك من النقد المر الذى أتاه من كل مكان ، أن سقراط لم يقصد ربط هذا السلوك بالتقاليد العائلية أو بالأمور المعمول بها أو بآراء وأصوات الأغلبية . فخال اذن أستاذه العجوز ، وهو بعيد عن أن يوجد أية عقبة فى سبيل تحقيق أحلامه فى المشاركة السياسية ، أقول خال أستاذه سيلج معه السياسة بنفسه ويبدأ منذ اللحظة الأولى بأن يمهد له الطريق الى دراسة الرجال والى تعدد الطبائع وخير الوسائل فى تتبعها أو فى مخالفتها ، وأن يرشده أخيرا الى كيفية ادارة الحديث ان فى الهجوم أو فى الدفاع .

ولم تكن ثمة غاية أخرى فى نظر الذين كانوا يعدون له مستقبله وفى نظره هو ، من التعاليم التى لقنها ومن التعاليم التى تركت له حرية اختيارها سوى شحذ ذهنه وطلاوة لفظه فى هذا الضرب من السياسة العملية . قد يكون نقد اقراطليوس العنيف الذى يشتم النفس قد حد بصورة ضعيفة ومتواضعة من مرونة ارادته . ولكن فيما عدا هذا نرى أن جميع أساتذته ورائديه لم ينكروا فى حضرتهم العلم أو الحقيقة الا ليقفوه على القيمة الفريدة للفعل الذى خلق جماله بنفسه وخلق حقه بنفسه . وها هى ذى تتدفق من وراء أسئلة سقراط المحرجة الواحدة تلو الأخرى أحوال غير منتظرة وحدود وقواعد وقيم تحكم الفعل نفسه وتهبه ما له من قيمة وقد بدا هذا المعيار الأسمى العام بسيطا معقولا وهو فى نفس الوقت موضوع لعلم سام ليس بمستعظم على الحياة بأجمعها أن تبحث عنه وأن تحصل عليه . أخذ شباب أفلاطون الفياض وتقاليد العائلية وتمثله فى الأسرة وتكوينه الخارجى أخذ هذا جميعا يناديه : « العمل ، العمل » ، ولكن سقراط وسقراط الساخر الذى لا يعرف

شيئا والذي أرغم الآخرين على الاعتراف بجهلهم والذي تظاهر بأن ليس لديه ما يلقيه اياهم لم يلحق أفلاطون غير قاعدة لم تتغير على الدوام « المعرفة أولا » .

طلب أفلاطون من سقراط أن يمهد له طريق الصراع اللفظي وأن يعلمه كيف يسيطر على الرغبات المتنوعة . وسأله فصل الخطاب في فن اقناع البشر وقيادتهم . ولكن فيم أراد اقناعهم ؟ ألكي ينادوا به واليا فيعلن الحرب متى شاء فينال المجد ؟ ولكن فيم ينفع النصر ان جهل الانسان الانتفاع به أو لم يكن خيرا بكيفية استغلاله في مصلحته الشخصية ؟ سعى اذن الى السلطة السياسية وعمل على أن يطمئن الى تحرره قدر المستطاع من الملابس والقيود . ولكن فيم تنفع القدرة المطلقة وفيم ينفع الطغيان نفسه ؟ . أفى اعداد الحياة والمنافع للمواطنين وفي سوق المدنية جورا الى الطريق الذي يقع الاختيار عليه ؟ ولأية فائدة ان لم يعرف الانسان نفسه ، الام يؤدي هذا الطريق في النهاية ؟ .

أيرضى أفلاطون أن يفضى به الطريق الى ارضاء رغبته في القوة والى أن يهبه لذة الشعور بأنه يفعل ويدفع الى فعل ما يلذ له فحسب ؟ ولكن هل ما يستطيعه ، سيكون هو على الدوام ما يريد ؟ أليس ما يريده هو العمل لمنفعته أعنى لخير الخاص ؟ أيرجو من هذا الطريق تنظيم المواطنين في انسجام ووحدة ؟ وأى نفع سيعود عليهم من هذا الانسجام ومن تلك الوحدة ؟ أليجمعوا رأيهم على قيادة الحرب أو السلام ؟ وماذا يحدث لو لم يقع هذا في الوقت المناسب وكما يجب ، أعنى ان لم يتشاوروا في ترو ؟ أليست الحكمة هي المنفعة ؟ وهل يرتجى نفع مما لم يؤيد بالقسطاس ؟ أليس

من المتواضع عليه ان المتفعة والعدل والخير شيء واحد بالذات ؟ وهل وقع عليه أفلاطون بعد ؟ أيعرف فى كل الأحوال ما خيره الخاص وما خير المدينة وما خير كل انسان وخير كل مدينة ؟ فاذا لم يكن له هذا العلم بعد . . أيعرف ماذا يجب أن يفعل ليحصل عليه ، ألا يعتقد أن ليس ثمة شيء أعسر من البحث عنه ومن لحصول عليه ؟ . .

٤ - ثورات آثينا

ومحاكمة سقراط

تلك كانت الأفكار التى ألقته فى نفس أفلاطون يوما بعد يوم معادئات سقراط واستفهاماته . ولكن أفلاطون الذى أخذته الدهشة فى أول الأمر أخذ يتبع الآن فى شغف طرائق التنفيذ السقراطى الحرة المأمونة غالبا التى كان ضحاياها من جهلوا أو لم يرضوا الاستفادة منها . وقد اكتشف فى نفس الوقت وراء بساطة سقراط الظاهرة علوا فى الروح ونبلا فى الارادة طالما تاقت اليهما أحلام طفولته . ولم تكن السذاجة والابتسام والتهكم المستمر نحو نفسه ونحو الآخرين ، عند هذا العجوز غير زهرة نفس نأت بذاتها عن نفسها وعن كل ما لا يتصل بالحقيقة التى تنشدها . كان وافر الاستقلال اذ عزف عن المال والجاه ولم يفرض فكره على أحد مطلقا بل ولم يفعل ذلك بالنسبة لأشد طلبته قربا منه ، فخلصت من كل كيانه شخصية قوية لما بدا فيه من بديهة مستعدة للتبصر على الدوام وارادة غير قابلة للانحراف . كانت لأفلاطون عواطف أخرى قام عليها قلب بلغ من اخلاصه أن بدا له الناس والقدر على درجة عظيمة

من الجور • ولكن السنوات التوالى قادتته دون شك الى ان يحكم من أعماقه ، فى قسوة ، على آوهامه التى كان يعتز بها ، وأن يقارنها ان فى الحياة وان فى الموت بتلك العظمة الواضحة الصافية التى جبل عليها أستاذة الحقيقى وأستاذة الآخر •

غرم الأثينيون ثلاثين باخرة تجاه ميتلينا وظلت الأربعون الباقية محاصرة فى الميناء ، وفى هذه المرة أيضا شحذوا عزيمتهم وجمعوا فى شهر واحد أسطولا مكونا من مائة وأربعين قطعة واشتبكوا فى معركة مع أسطول اسبرطة عند أرجنوس جنوبى لشبوس وأغرقت فى هذه المعركة سبعون سفينة من سفن العدو وقتل قائد الأسطول • فكان نصرا جميلا ولكنه انقلب غما وكآبة من جراء نكبة ربما لم يكن من الممكن تجنبها ، اذ أفسدت النصر جريمة خرقاء تردت من أثرها خمس وعشرون سفينة أثينية فى اليم ، فقد حاول القواد الأثينيون أن يستفيدوا من ريح شمالية شديدة فى الهجوم على العدو فتركوا حيث كانوا ترامينوس وترازبولوس وكان معهم سبع وأربعون سفينة لجمع الفرقى ؛ ولكن العاصفة اشتدت وتعذرت معها أية محاولة للخلاص • واتهمت أثينا جميع القواد عدا كانون ، ولعل الخوف من العقاب أو الرغبة فى الافادة من غضب الهيئات هو الذى حدا بترامينوس الى أن يتهم القواد أمام المجلس • وسار كاليكسنوس على منواله فقرر مع المجلس محاكمة المتهمين كتلة واحدة دون أن يسمحوا لهم بيوم واحد للدفاع عن أنفسهم • واحتج فى أول الأمر الشيوخ الذين قاموا بدور المستشارين ولكنهم تراجعوا أمام عاصفة التهديد التى أقامها كاليكسنوس متوعدا اشراكهم فى الاتهام • وكان سقراط هو الوحيد

الذى جسر على القول « بأنه لن يتغلى عن القانون » ولكن القواد الثمانية قدموا للمحاكمة وقتل ستة على الأقل . وكان أن ندمت أثينا على فعلتها ولكن بعد فوات الأوان ثم رغبت فى معاقبة من قاموا باتهام القواد ، فقضى على كاليكسنوس بالموت جوعا تصحبه اللعنة من جميع الجهات .

غنمت معركة أرجيوس ممن حل محل ليزاندريس واستدعت اسبرطة هذا لقيادة أسطوله قيادة فعلية بعد أن أعيد تنظيمه . ولم يكد صيف عام ٤٠٥ ق . م ينقضى ، حتى كانت فى حوزته مائة وستون سفينة أثينية وكان مجموعها مائة وثمانين ؛ مما أثار دهشة ايجسبتاموس الشديدة ، وقضى على جميع الأسرى بالموت وكانوا حوالى ثلاثة أو أربعة آلاف أسير . وأتت سفينة بارالين بخبر النكبة وخبر يريه مع الليل فسرت الدهشة والأنين حتى بلغا أثينا « فلم يغمض لمخلوق جفن فى تلك الليلة ، وأخذ الأثينيون يندبون موتاهم بل قل يندبون أنفسهم ان شئت الدقة » ثم تخلت عنهم اليونان بأسرها خلا ساموس . وطفق ليزاندريس فى الاقتراب تصحبه مائتان من السفن كما عسكر الملك يوزانياس فى ملعب الأكاديمية . وهكذا حوصر الأثينيون برا وبحرا ، فاضطروا الى طلب الهدنة تحت الحاح الجوع . فلم يكن فى مقدورهم أن يعطمووا الجدران . أمهل ترامينوس الوفد الى ليزاندريس هذا الأخير أكثر من ثلاثة أشهر لينتظر ، كما يقول اكسينوفون ، اللحظة التى يكون فيها الأثينيون مهينين للاذعان التام تحت الحاح الحاجة القصوى ، سيما وأن قليوفون رجل المقاومة قد اغتيل . وطلب منهم بعد قبول هدم تحصينات ميناء يريه والجدران الشاهقة التى كانت تحيط بها ، تسليم جميع القطع الحربية

عدا اثنتى عشرة منها . » ودخل ليزاندريس بيريه تاركا السفن خارج أسوارها وأعيد المنفيون وهدمت الجدر بين أنغام الناي وساد السرور ؛ لأن ذلك اليوم كان ايدانا ببدء الحرية لليونان بأسرها » كما كان يؤذن باسترقاق أثينا التى أقسمت « ألا يكون لها أصدقاء ولا أعداء غير الاسبرطيين » وأشرقت عليها شمس اليوم التالى يرافقها الطغيان الداخلى .

« تواضع الشعب على انتخاب ثلاثين مواطنا لتشريع نظم جديدة » حدث هذا تحت اشراف ليزاندريس وهو ما كان ينتظره ليفصل عن بيريه . وكان تيرامينوس طبعاً من بين هؤلاء الثلاثين ، أما أقريتياس فقد عاد مع المنفيين الآخرين . وفى فترة انتظار صدور التشريع الجديد انتخب هؤلاء الثلاثين من تلقاء أنفسهم أعضاء المجلس الخمسمائة كما انتخبوا الولاية الآخرين ، واختاروا أحد عشر فردا ليزج بهم فى السجن كما عينوا عشرة مديرين واتخذوا لأنفسهم حرساً من ثلاثمائة نفر يحملون السياط وهكذا تألفت حكومة قوية . كان أفلاطون يتمنى دون شك هذا التعويض لأقريتياس ولم يكن يخلو من زهو لوجود خاله بين مديري بيريه . وأغلب الظن أن دوره قد جاء اذ دعاه خاله ونفر من ذوى السلطان من أصدقائه لأن يأخذ مكانه فى تلك الحكومة التى تستجيب لأفكاره . ولكن أفلاطون لم يكن ليتابع أحاديث سقراط أو ليتقبل أسئلته أو ليفتح عينيه على الحياة عبثاً . لقد ذكر ذلك بنفسه فى خطابه الى أصدقاء ديونيس . كان يقدر جيداً أن السلطة الجديدة ستعيد المدينة الى « طرق العدالة » ولكن مطالب نفسه كانت قد سمت الى حد تولد معه شك خفى يمازج آماله ، فرغب فى الانتظار والترقب .

بدأ الثلاثون بأن آمنوا الجميع وأرضوهم بقضائهم على
الوشاة الخطرين ثم كفوا أنفسهم شر التحولات التي يمكن
أن تقع بأن طلبوا الحماية من ليزاندريس وحينذاك أفصحوا
عن رغبتهم في « تطهير المدينة » ولم يسمح تراسينوس بأكثر
من التطهير ولم يعاقب الا الديمقراطيين المبرزين * أما
أقريتياس ، فقد عاد من منفاه طاويا حنايا صدره على ضغن *
فكان يعتبر كل من طالب بل كل من تمنى الدستور المنشود
عدوا له * وأخيرا ، فان الحماية الاسبرطية تتطلب ثمنا *
لذلك حارب أقريتياس من وقع عليهم الاختيار من الأغنياء *
واحتج ترامينوس على هذا السلوك وحاك له الدسائس ثم
طلب منه أن يعلن أسماء من تكون لهم حقوق المواطنين فحدد
أقريتياس عدد هؤلاء بثلاثة آلاف - ولكنه امتنع عن نشر
الأسماء * وطفق ترامينوس يحتج ويلح في الاحتجاج ولكن
أقريتياس وفق الى اصدار قانون يجعل للثلاثين سلطة
اعدام كل من لا يوجد اسمه بين ثبت الثلاثة آلاف دون
محاكمة واستصدر بعد ذلك قانونا آخر يجرّد كل من سعى
ضد حكومة الأربعمئة من حقوقه السياسية * فأمكنه بذلك
أن يتهم ترامينوس هذا الحذاء البالي ، على حد تعبيره ، الذي
ارتدى جميع الأحزاب وخانها * وأخيرا تجرع ترامينوس
كأس السم « في صحة أقريتياس الحاذق » *

نشر أقريتياس بعد ذلك ثبثا بأسماء الثلاثة آلاف وجرّد
باقي السكان اثر ذلك من الأسلحة ، واستمرت حوادث القتل
ونزع الملكيات * وكان عدد من قتلوا في عدة شهور ينوف
على الخمسمئة ونفى عدد آخر لا حصر له ، فكان ذلك بمثابة
حمساقة خرقاء * تجمع المتنفسون في كورنثوس وميجاريا
وطيبة ، والتأموا تحت امرة ترازيبولوس فاحتلوا فيلييه ثم

بيريه • وطالت الحرب بين الفريقين وزادت تعقيدا ، وكان طبيعيا أن تتلاعب اسبرطة بالفريقين واستخدمت ليزاندرس وبوزنياس لتحقيق أغراضها • وكان مصير كل من اقريتياس وخرميدس القتل فى معركة مونيخيه فى مايو عام ٤٠٣ ق م ولكن السلام لم يعقد الا فى سبتمبر من نفس السنة حينما تدخل بوزنياس فى الأمر • فأعيدت الديمقراطية وساد الجميع عفو شامل الا من اشترك فى حكومة الثلاثين •

لم يعد لأفلاطون صديق غير سقراط ، وقد حدث فى الفترة التى شئ فيها الثلاثون الحرب على أغنياء الأنغال ان أمروا سقراط ، رغبة فى تعريض أكبر عدد ممكن من الرجال للخطر ، بالذهاب مع أربعة آخرين للقبض على ليون من سلامينا بغية اعدامه - ولكن سقراط لم يذعن للأمر ولم ينجح من انتقام الثلاثين الا زوال دولتهم بعد ذلك بقليل • وقد استمر خلال هذا الحكم وفى ظل الأحكام الأخرى كلها محتفظا بصراحته وظل على تلك الحال حتى بعد أن منعه اقريتياس من تعليم البيان ، وكان يرمى من وراء ذلك الى اسكاته • هذا ولم تكن لدى أفلاطون أسباب يزور (بتشديد مع فتح الواو) من أجلها من الحكومة الجديدة ، تلك الحكومة التى شملت الأدب بعفوها والتى راعت الاعتدال فى باقى المسائل • ومهما يكن من أمر انصرافه قليلا قليلا عن المشاركة فى الحكومة مشاركة فعلية ، فان اهتمامه كان لم يزل شديدا وكان قد أعد نفسه لمتابعة العمل فى السلام المشروع حينما حدث ، ولم يكن فى الحسبان ، أن اتهم سقراط بالالحاد أمام محكمة هلياست •

قام باتهام سقراط غنى نشط من بين أفراد حزب قرامينوس يدعى أنيتوس الذى نفى عام ٤٠٤ ق م ، والذى

اشترك مع ترامينوس فى اعادة الديمقراطية وعاون هذا فى الاتهام مليتوس وليقونوس . » وتذهب شكواهم الى القول بأن سقراط متهم بعدم الايمان بالآلهة التى تقدها المدينة ويقول به آلهة جديدة زيادة على أنه يفسد الشباب . » والواقع أن نقد سقراط الذى لا يتطرق اليه وهن وتهكمه المستمر قد أوجد له أعداء فى كل مكان ، فأولوا « الإشارة الالهية » و « الوحي » الذى قال عنه سقراط انه يرشده فى جميع الأمور التى يتطرق اليه الشك فيها ، تأويلات مغرضة . أما من أرهقتهم الأوليجاركية ، فقد اتهموه بأنه كان أستاذ الكثير من الأرستقراطيين ومن بينهم القيببيادس وأقريتياس ، وأنه قد دأب على السخرية من انتخابات القرعة وسيادة عدم الكفاءة . ولعل الرغبة لم تكن لتصل الى حد طلب القضاء عليه ولكن مظهره كان يذكر بماض لعين . وكان من الممكن أن يستعين بالهرب ، على التخلص من هذا الاتهام ولكنه أبى ذلك وهكذا وقف فى سن السبعين لأول مرة أمام القضاة .

ولم يهتم سقراط بالدفاع عن نفسه شاعرا بسمو حقه ونبل منحاه ، وبدلا من أن يناقش ويستسمح رغب فى مناقشة الأدلة وتفنيدها كما كان يفعل أمام تلاميذه . وأعلنت ادانته بأغلبية ضعيفة وطلب منه أن يحدد لنفسه عقوبة فطلب أن تكفل له الدولة معاشا فى مجلس الشيوخ . ثم قبل بعد ذلك أن يؤدى غرامة قدرها ثلاثون جنيها بضمانة أفلاطون ونفر من أصدقائه الآخرين . ولقد سببت كبرياؤه المتزايدة غضب قضاة ؛ فحكم عليه بالاعدام بأغلبية كانت فى هذه المرة أقوى بكثير من الأولى وزج به فى السجن حيث مكث شهرا حتى تسمح نهاية أعياس دولوس بتوقيع العقوبة ، وكان الهرب ميسرا للمتهم أثناء هذا الشهر حين كان يستقبل أصدقاءه.

يوميا ، أضف الى هذا أن العادات لم تكن تستنكر ذلك ؛
ولكنه رفض التخلص « كعبد مذنب » من الحكم الموقع عليه .
وفي اليوم المحدد من شهر يونيو أو يوليو عام ٣٩٩ ق م
تجرع السم في هدوء * ولم يشهد أفلاطون وفاته لمرض
أقعه * .

تمجيد سقراط

١ - سنين الترجل والتأمل

نهض أفلاطون تغمره الدهشة والألم والتقزز - لقد تبددت أوهامه ، واختفت أعز صداقاته وبقي وحيدا أمام حطام من كان مثله الأعلى - فكان من المتعذر أن يفكر في هذه الصدمة الأخيرة التي أتت على البقية الباقية من نفسه .

وكلما ارتاع قلبه ، زادت قسوته في الحكم على أقريتياس يوما بعد يوم ازاء طغيان الثلاثين . ولما لم يعد يتمثل وثن صباه الا خلال حجاب من الفرع فقد قذف بنفسه بكل ما أوتي من قوة نحو سقراط الذي دلت حياته وكلماته ، على أن هناك بقية من منطق ، وبقية من عدل . ومما زاد في جرح نفسه أن يرى أقريتياس وخرميدس يلقيان حتفهما في التطاحن الحزبي ، وأن المدينة التي لم تعد اليها الحياة الا بعد موتهما قد نظرت اليهما نظرتها الى المجرمين ، ولكنه اطمأن حينما رأى المنتصرين يحاولون النسيان ، ويسعون الى التضامن ، وآمن بنهضة أثينا وبمستقبلها . وقد خدعت الأوليجاركية تماما حينما ظنت أنه سينضم في غير حرج الى الديمقراطية التي أعيدت الى الحكم ، وكانت متأهبة تماما لأن تثق به .

هاك ما وصلت اليه حكومة « ضحايا اقريتياس » : لقد قتلت في وحشية وجنون الرجل الذى حاول اقريتياس عبثا أن يلزمه الصمت ، والذى رفض ، فى ساعة حرجة ، أن يعادى أصدقاءهم ويصبح من صنائع الطغيان ! لقد اتهموا سقراط بالالحاد ، سقراط أعدل العادلين . وقد ذهبت توسلات أفلاطون أدراج الرياح : اذ رفض فارس الميدان الكهل أن يتنصل من الاتهام الماكر الخطر كما رفض أن يتنحى أو أن يستغل مهارته أمام قضاته ، ورفض كذلك أن يهرب فى وقت كان من السهل فيه أن تشتري حرите بقليل من المال . والله يعلم أن أفلاطون كان على أتم استعداد لأن يهب ثروته جميعا ثمنها . وفى تلك اللحظة أقعد أفلاطون المرض ، ثم وقع الظلم . فقتلت أثينا كما سفهت الرجل الوحيد الذى كان فى مقدوره أن ينقذها ان كان لها أن تنقذ . وحطمت الصداقة المقدسة التى احتوى فيها أفلاطون كما يحتوى فى وكر للعدالة والايمان ، ماذا يفعل هنا اذن ؟ . . انه مرتاع من أثينا ، ومن سياستها القائمة على العاطفة ومن أحزابها وثوراتها ، ومن جنونها العاتى واعتدالها الماكر . . انه يرغب فى الفرار .

لقد ذكروا له ما كان يعرفه مقدما من أن سقراط كان فى مماته بسيطا نبيلًا كما كان فى حياته . ولنا أن نعتقد أن اقريتون الصديق الصدوق ورفيق صبا سقراط روى لأفلاطون بنفسه ما لم يقو هذا على رؤيته : من اجتماعات الأيام الأخيرة الى الأيام الخالدة التى مضت كغيرها فى المحاورات الفلسفية والليل المخيم وخادم الأحد عشر؛ اذ يعلن وهو يبكى أن الساعة قد دنت ، والكأس التى تناولتها يد ثابتة ، وسقراط اذ ينصح أصدقاءه بالهدوء والوقار بينما

يفعل السم مفعوله ، وإذا بصوت اقريتون يتهدج رغما عنه ،
أثناء ذكر طريقته في جمع آخر أحاديث سقراط ، فيغلق
فمه ويغمض عينيه .

شهد اللحظات الأخيرة من حياة سقراط مع اقريتون
وولده اقريتوبيل ، طلبة أثينيون متعددون يذكر منهم اشن
من مقاطعة سفطس وانتستن ومنكسين . ومن الطيبين
سميانس وقابس ، ومن الميجاريين اقليدس وتربسيون ، وكان
انتستن ونفر آخرون على وشك مغادرة أثينا للذهاب الى
ميجاريا في ذلك الحين . وكانت تهمة الايحاد قد حركت ،
كما قال اقريتون ، في الشعب المهتاج الشكوك القديمة في
الفلاسفة « محتقري الآلهة » . وكان طلبة سقراط معرضين
دائما لاهانات الشعب . هذا من ناحية ، وكان يؤلم اقريتون
من ناحية أخرى أن يرى أفلاطون قريب اقريتياس وخرميدس ،
معرضا لمضايقات بل ولحقق القوم الذين طالما آذاهم الثلاثون .
ولكن أفلاطون لم يفكر بتاتا في هذا الخطر بل كل ما هنالك
أن ليس ثمة من عمل يقوم به هنا . لقد ذكر له اقريتون
العجوز كل ما يمكن أن يذكره ، ولكنه شعر بحاجة الى مزيد
من قصص عن سقراط ، لا عن سقراط في مماته بالغا ما بلغ
من سمو ، بل عن سقراط الحي كما عرفه ورافقه ، وعن
سقراط كما تصوره وتخيله قبل أن يصبح تلميذا له . وقد
اختير اجابة لهذه الرغبة الملحة اقليدس الذي طالما تردد
عليه أفلاطون وسرعان ما شعر نحوه بود لم يشعر به نحو
الآخرين ، فكان الأفضل اذن بالنسبة لأفلاطون أن يرحل الى
ميجاريا .

ما المدة التي قضاها هناك ؟ هذا ما لا نعرفه ، اذ ان
رحلة ميجاريا ورحلة مصر وزيارة سيرينيا يشهد بصحتها

تراث أهل للثقة • ولكن هذا الحكم لا يمكننا أن نطلقه على التفاصيل الروائية التي تضاف الى هذا التراث • أما الشيء الذى نعلمه حق العلم فهو أن عملا خصبا كان قد اكتمل فى فكر أفلاطون أثناء السنين الأولى التى تلت موت سقراط • كان عليه أن يقوم بعمل تقويم لحياته وللحياة السياسية الأثينية ، وأن يهجر آماله فى المشاركة السياسية ، وأن يتحول الى دعوة من نوع آخر ، وأن يدرك الفكرة العامة والخطوط الرئيسية فى هذه السلسلة من المحاورات التى ستوقف على احياء ذكرى سقراط • ونخشى أن نكون قصصيين اذا أردنا تخيل التواريخ الصحيحة والمراحل المختلفة والحوادث الخارجية لهذه الرحلات • ولكننا لا نفرض الا فرضا قريبا من الواقع وهو فى أغلب الظن ضرورى اذا ما تخيلنا أن ميجاريا ومصر وسيرينيا ، كانت تمثل بالنسبة لأفلاطون مراحل فى التفكير تنشأ مع التنقل • فقد تبع تطور تفكيره منحى رحلاته ولم يبعده هذا التفكير عن أثينا أولا وقبل كل شيء الا ليعيده اليها بفكرة أكثر وضوحا عن المهمة التى تنتظره هناك •

وفى ميجاريا ، كان لاقليدس ومضيفيه الفراغ الكافى ليتذكروا فيما بينهم حياة أستاذهم • كانت تلك الحياة قليلة الحوادث ولكن أقل الحوادث شأنا ، صار له معنى آخر فى ضوء الوفاة والالتهام • هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد كانت حياة سقراط بأكملها مبنوثة فى محاوراته اليومية ، وكل كان يحمل ذكرياته • أما أفلاطون ، آخر من حضر من الطلبة فقد أصغى وحصل • وليس من شك فى أنه قد نشأت من وقت لآخر مناقشات هادئة تناولت تواريخ المحادثات وتسلسلها ؛ فضلا عن التفاصيل الدقيقة فى شرح المخادشات

وتقديرها . وجد أفلاطون في ذلك ، وهو على أهبة المبادلات والمعارضات ، الفروق في الطبع وفي التعليم وفي الثقافة . هذه الفروق التي لم يلاحظها الا قليلا في صلاته العابرة بالطلبة الآخرين ، ومع أنه كان راغبا في ألا يلقي اليها بالا فقد ضجر منها كما يضجر من فوضى تحاول أن تنال عمله الذهني بالتشويش ، اذ شعر بأن هذه الفوضى قد بدأت تعمل في خبث في الأحيان التي كان يريد أن يوجه فيها انتباهه الى الروايات والى الشروح .

ثم أدرك ذات يوم أنه في حاجة الى الوحدة . أما أحاديث مضيفه عن الحياة التي سلكها قبل مقابلة سقراط وعن تجاربه العقلية المختلفة فأعجب بها من قبل اعجابا شديدا . فقد شغل اقليدس بالفلسفة على الدوام . وتأثر مذهب بارمينيدس بوجه خاص ولم يمنعه تقديسه الشديد لسقراط أن يظل مخلصا للكائن اللامتغير الذي تغنى به حكيم ايطاليا القديم . ولكن نفس أفلاطون كانت ممتلئة في تلك اللحظة بأفكار أخرى .

ولم تكن الرحلة الى مصر لتحول بينه وبين هذه الأفكار . وكانت رحلة سهلة نسبيا ، وكانت تكاليف السفر من يريه الى هناك ضئيلة جدا ، تبلغ درخمين . جذبت مصر اليونانيين منذ زمن بعيد فرحلوا اليها جريا وراء التجارة الرابعة ورغبة منهم في اكتناه سر المجهول . ونحن نعلم أن سولون العظيم صديق دروييد الكبير قد أقام في سايس بالدلتا حيث تحدث اليه الكهنة في شيء من الافتخار عن قدم تراثهم . ويذكر أفلاطون ، في شيخوخته ، زيادة على ذلك ، وكان مؤمنا بما حدث : « اننا نجد لديهم أعمال نقش ونحت ترجع الى عشرة

آلاف سنة » وكان يعتقد أن المشرع اليونانى يمكنه : اذا حذا
 حذوهم أن ينظم ملاحى أى شعب وموسيقاه كذلك بحيث
 يمكنه ابعاد كل بدعة مفسدة . ولكن كل ذلك الذى رآه فى
 مصر مما جبل عليه سكانها من عدم اكرام الضيف ، ومن
 صلفهم فى الربح ، ومن تسلط طائفة الكهنة ، ومن الأساطير
 التى ترامت الى أسماعه والتى تذوقتها روح الفنان فيه
 أكثر مما تذوقتها روح المفكر ، كل ذلك كان قد عرفه قبل
 أن يغادر أثينا . وقد جذب العالم الجديد ، من شعب مزركش
 وآثار ومعابد وكهنة ، انتباهه الخارجى ، ولعله لم يكن
 ليترك فى تأملاته العميقة الا بقدر ما تتركه المتعة من أثر .

وفى عودته عرج على سرينيا ، حيث رغب فى مقابلة
 أحد أصدقاء سقراط الأقدمين وهو تيودورس الهندسى ،
 وكان قد عاد من أثينا عقب الاتهام المحزن بعد أن أقام مدة
 طويلة تتبع خلالها أفلاطون دروسه من وقت لآخر . وقد لذ
 لأفلاطون أن ينصت الى الحديث عن سقراط من ذلك العجز
 الجذاب قبل أن يشرع فى العمل الذى أخذ يشعر الآن أنه
 مرتسم أمامه . وكان يربط بين هذا العجز وبين سقراط
 قلب مخلص ورأى مشترك ينضح بالحقيقة وحب للشباب
 متبادل . وكان الرجل صديقا لبروتاجوراس ، ومع هذا لم
 يكلف بالبيان أو بالجدل . وكان رياضيا بالوراثة فأحدث
 تقدما كبيرا فى نظرية اللامعقولات وأكسب طلبته حماسة
 وحرارة فى سبيل البحث والاستقصاء .

ولما سل أفلاطون الاغتراب ومل المعابد والأسرار
 والتنبؤات أقبل فى شوق ، لبضعة أسابيع ، على هذه
 المحاضرات فى العلم الدقيق ، وكانت الحجج التى تشبه

الماس صلابة ، تتعاقب مع ثقة الأستاذ القديم في أعماله وفي تلاميذه أو مع ذكرياته الساذجة الباسمة فيما يتعلق بالذى شعرا فيما بينهما بحضوره الممتع . وأخيرا عاد أفلاطون أثناء سنة ٣٩٦ ق م على وجه التقريب الى أثينا تلك ، حين أيقن بأن ثمة عملا عليه أن يقوم به .

٢ - حقيقة سقراط

هز أفلاطون موت سقراط هزة عنيفة ، ولكنه لم ينر أمامه السبيل الا رويدا . فقد بدا له هذا الحادث كحلقات غير متصلة من ومضات قوية تلتصق في وعيه من بعيد وبدت كما لو كانت ناشئة من أعماقه المجهولة . ولم يدر أية عاصفة تلك التي كانت تستفزه حينما كان ينصت في هدوء وانتباه لروايات الطلبة . لقد رحل جاثبا البلاد المجهولة لينفرد بالبليلة التي أصابت أفكاره ، ثم أسلس قلبه له القيادة كما أسلست له نفسه القيادة رويدا رويدا عندما هدأت البليلة التي في نفسه وتمخضت عن نور ساطع أضاء الظلمة التي شملت حياته والظلمة التي سادت العصر الذي يحيا فيه ، وكشف له كذلك عن سبيل وأمل محقق . بدا هذا الضوء الصارم المنان كما لو كان اشعاعا ينبعث من حياة سقراط ومن موته .

لم يقتصر جهل حقيقة سقراط وبغضه واتهامه واعدامه على انيتوس والديمقراطية الأثينية فحسب ، بل تعداهما الى تجبر أثينا الأعمى بأسرها وتجبر رجال دولتها الأمجاد ، ومن على شاكلة القبييادس واقريتياس ، في كلفهم المفرط بالسلطة والمتعة ، وكذلك أشبال الأرسقراطية ، والى السفسطائيين وعجرفتهم وهوايتهم التي تشتري بالمال ،

والشعب بأسره مع قواده الفاسدين ومضليليه وخطبائه وشعرائه وقصصيهه . لقد اتهموه جميعا لأنهم شعروا أن حديثه وحياته انما تضعهم موضع الاتهام : « فاذا كان سقراط رزينا فى حديثه صادقا فيما يقول فمعنى هذا أن الحياة الانسانية بأجمعها هى التى كانت مقلوبة رأسا على عقب وأننا نفعل عكس ما يجب أن تؤديه ، ولكنهم أبوا أن يروا حياتهم معكوسة » ، لقد تردوا فى الجهل المطبق واستمروا مع ذلك فى اعتقادهم أنهم أكثر الناس معرفة . وطالما صدر عنهم هذا القول فى سخرية « هذا الثرثار الشرير المعتوه » الذى يبحث بين السحب عن المعرفة والخير والعدالة الكاذبة والذى يزدري جميع الحقائق التى يحيها عالم الشهادة .

كان سقراط على حق رغم هذا ، فان مجد أثينا كان يخفى وراءه شرا مستطيرا . وقد انفرج هذا الآن عن فساد وعن نكبة ؛ لأن الجميع رغبوا عن معرفته وعن علاجه — ما فائدة السفن الحربية والتحصينات والترسانات والأسلحة بمرمتها ؟ وما فائدة غزوات السيطرة وبسط السلطان وما فائدة كل هذا الكسب المادى الذى هو ثمرة ما يسمونه : « السياسة العليا » اذا كان الشعب قد ترك الى جانب هذا كله يتردى فيما هو فيه من جهل ومن ظلم ؟ . . أليست السياسة الحققة هى الكشف عن هذا الشر المستطير واستئصاله قبل أن يخرج ثماره ؟ . . كان سقراط وحده هو الذى وقف على هذا الشر فكان بذلك رجل الدولة الوحيد . أما الآخرون أمثال تيمستكلس وسيمونيس وبركليس نفسه ومن بعدهم أيضا ثلة الخطباء والمموهون ، فلم يكونوا سوى متملقين ومفسدين . أما الأوليغاركيون والديمقراطيون والمعتدلون ، فلم يكونوا أحزابا بل كانوا أهواء مشتتة .

تلك هى المسائل التى لام أفلاطون نفسه على عدم فهمها خلال السنوات الثمانى التى عرف فيها سقراط معرفة أدق متتبعا محاوراته وطرائقه وحياته . أى حماس ذلك الذى شعر به وأية ومضات تلك التى كشفت له عن أسئلة أستاذة المقلقة ! . . ولكنه قد عاش فى هذا العصر الذى صبغه بروحه وبكل لفحاته ، ثم تسلط عليه نزق الشباب وأعماء . ذلك ما أدركه أخيرا ، متعثرا أول الأمر متنورا بعد ذلك رويدا رويدا من درس الاتهام ومن درس الاعداء . وهذا ما يجب أن يعلمه الآن لمدينة أثينا التى تاق الى انقاذها .

ولو أن أفلاطون فهم من المساهمة الفعلية فى انقاذ المدينة أن يشارك فى السياسة العملية لكان هذا نزقا . فضلا عن أن هذا العمل لا يتم دون الاستناد الى حزب أو جماعة سرية . . وأنى له بجماعة من الأصدقاء يقبلون فعل شيء يختلف عن تلك السياسة المبتدلة : سياسة المنفعة والهوى والكبرياء . . . ! وما كان ليجهل ذلك الخزي المخضب بالدم الذى يؤدى اليه هذا الضرب من السياسة . هذا ولو أنه قام بالمحاولة الأخرى منفردا فى مقابل عمل الشعب وتعصب الأحزاب ، لكان نصيبه الموت العاجل من غير فائدة تجنيها الحقيقة . كلا ، ان من الأفضل أن تفرض تلك الحقيقة المشتعلة على السلام على نحو آخر . يجب أن تؤتى أثينا من نقطة ضعفها ، من ناحية حب استطلاعها العقلى ومن ناحية حبها للهجاء وللروايات الهزلية ومن كلفها بالنقاش والمجادلات والحجاج . يجب أن نفرع كذلك الى ما للحقيقة والعدالة من معنى عميق فلعل البؤس والخطيئة المتزايدى لم يمحياء بعد من قلب جمهور الأثينيين — وربما كان من الممكن أخيرا عن طريق الوضوح والسهولة والصراحة التى

يعثتها رغبة صادقة شعر باصطراعاها في نفسه ، أقول ربما كان من الممكن عن هذا الطريق أن يؤلف بين نفر من شباب الأثينيين حول المنهج السقراطى يكون من بينهم من يخلصون الوطن فى القريب العاجل .

لذلك ، ما كان لأفلاطون الا أن يترك قلبه يفيض ، ذلك القلب الذى غمرته محاورات سقراط على النحو الذى عرف به أخيرا . كما غمرته شخصية سقراط وبذلها الاستشهاد فتكشفت به وحده عن عظمتها الحقيقية ، ثم ذلك القلب الذى طغت عليه حياة ظلت محجوبة الى أمد طويل وهى التى لا تبغى الا التعبير عن نفسها فى الفعل وفى الخلق .

كان شاعرا ، لا تزال حرارة شبابه تضىء تفكيره الذى صقلته التجربة . كم هى جميلة تلك القصة التى صاغها فى مخيلته حول هذا الدرس الحى أعنى التعليم السقراطى ! كان ماضى أثينا القريب ماضى أمس وما قبل أمس يحوى بذور هذا الدرس الحى أعنى بذور الأهوال أو قل الأهوال التى كانت على وشك الوقوع ؛ ولكنه كساها بسحابة من المجد ؛ تبدت فى شباب القيبىادس المزدهر وحيوية أقريتياس الطموح التى تشير الى شىء ما وطفولة خرميدس المتواضعة ونيقياس ونضوجه السياسى والحزبى ومشاهير السفسطائيين فى شيخوختهم البراقة ثم من هم دونهم شهرة ممن يمتازعون ، من خلفهم ، الطلبة وبعد الصيت ، وأخيرا صورة طفولته اللطيفة ، صورة جمهور المراضات الفتى وهو يهرع بين درس وآخر ليشاهد سقراط ممسكا بتلابيب أحد تجار العلم هؤلاء . أى تباين فى المنظر ذلك الذى ارتسم فى غير دقة ثم تحدد واتضح ثم تمثل نهائيا فى ذهنه ، بين سقراط

وأولئك الأشرار من قادة أثينا من كهنة وقديسين وخطباء
سفسطائيين وسياسيين وولاة ! شعر أفلاطون بأن المسرح
الذى طالما أحبه والكوميديات الخفيفة والهجاء الماكن بل
ومهازل خيال الظل فى السوق وذكريات شبابه الماكر العذبة
ملاحظا فى خبث مفسرا فى سخرية ، العجائب التى
تصادفه ، شعر أفلاطون بأن كل هذا يصعد من أعماق مخيلته
مصطحبا آثاره متجمعا ؛ كى يهب الحرارة والازدهار لنسيج
محاوراته الذى لم يزل جافا .

أما المذهب الذى غصت به المناقشات فى العلم وفى
العدل والخير وكذلك حب الحقيقة المفرط الذى ظهر فى
صورة عزيزة قوية أو فى صورة تهكم والضوء الذى غمر
هذه المناقشات بالجمال الى جانب الابتسام فى هدوء ، أو
السخرية فى رفق اللتين لعبتا دورهما فى هذه المناقشات ،
كل هذا وجد منبعه فى شخصية سقراط الذى سيطر على
عمل أفلاطون كما سيطر على روحه من قبل . خلق أفلاطون
سقراط من جديد وأعادته الى الحياة محققا ، مستجوبا ،
مفندا ، هازئا أو وقورا باشا لنضارة الشباب كيما يكشفوا
له عن نفوسهم مثيرا العجب والكبرياء فى السفسطائيين ؛ لكى
يتفاخروا وتنتفخ أوداجهم فيجد فى ذلك خير وسيلة لرفع
النقاب عن جهلهم الفاضح ، متخذوا الجهل وسيلة ، جادا فى
البحث عن الحقيقة لا لغاية الا حب الحقيقة ثم مضحيا فى
سبيل هذه الحقيقة حتى يصل الى السجن وحتى يبلغ الموت .
ولكن أفلاطون قد نسي نفسه وراء هذا البحث وذلك التمجيد
السقراطى واختفى أثره فلم يحى ولم يكن له وجود . وكان
قنانا مبدعا ضحى بنفسه فى سبيل روعة عمله . كان طالبا
مخلصا أخفى نفسه لتظهر عظمة أستاذه فى أحسن صورها .

وكان مفكرا خلص الحقائق المعقولة من أى ظل أو أثر من آثاره الخاصة ، فهل تواتر الى سمعه أن ذلك الموت الارادى كان ثمن خلوده ؟ . .

٣ - المحاورات الأولى

عكف أفلاطون على العمل بمجرد عودته . وسرعان ما ذهلت أثينا أمام رواياته النثرية التى أخذت تتتابع دون توقف تقريبا . . . ولكن ما النظام الذى ساد تأليف هذه المحاورات الأولى ، وما النظام الذى امتد حوالى خمسين سنة ؟ - هذا ما يعترف النقد الدقيق بعدم الوقوف على حقيقته حتى الآن . وقد وصل الينا ذلك الانتاج بأكمله بل وأضيفت اليه أشياء أخرى ، اذ يتكون هذا الانتاج من اثنتين وأربعين محاورة بينها سبع وعشرون أو ثمان وعشرون ، يسلم الجميع بأنها صحيحة النسبة الى أفلاطون ، سبع ثبت منذ العصور القديمة نفسها أنها منتحلة . أما باقى المحاورات فلا تزال موضعاً للنقاش . وهناك أيضا تعريفات رغم كونها منتحلة تماما الا أنها تحوى جزءا كبيرا من التراث الأفلاطونى ، وكذلك ثلاثة عشر خطابا لا يوجه اليها النقد اليوم فى عنف وان كان قد قضى عليها مدة طويلة بأنها منحولة بصفة قاطعة . وأقل ما يمكن قوله عن هذه الخطابات هو أن أحسنها حالا يزودنا ، فيما يتعلق بحياة أفلاطون ، بمعلومات لا يمكن أن تصدر الا عنه ، أو عن تلاميذه المباشرين - فالخطاب السابع منها خليق فى مجموعته بأن يوضع فى مصاف محاورات العهد الأخير الكبيرة ، وتتوافر فى الخطاب الثامن نفس الاعتبار التى ترجع نسبته الى أفلاطون .

أما الغاية التي نرمى اليها ، فهي تحديد الزمن التاريخي للمحاورات الصحيحة أو ترتيبها على أقل تقدير حسب تتابعها الزمني ما وسعنا ذلك . فالنقد الحديث ، في بحثه عن أساس أقل عرضة للتأثر بالأحكام الفردية ليسير عليه في هذا الترتيب ، قد اعتبر محاورة القوانين التي تركها أفلاطون دون أن يتمها ممثلة لآخر ما وصلت اليه اللغة الأفلاطونية . وعلى هذا يمكن أن نقيس عليها المحاورات الأخرى بغية ترتيبها . وذلك بأن نبتعد ، تبعا لدرجة قرب المحاورات من أسلوب أفلاطون في شيخوخته . ووصل هذا النقد الى أن يرتب في يقين مجموعة من المحاورات المتأخرة في ضمنها السفسطائي والسياسي وفيليبوس وتيماوس واقريتياس والقوانين . وأمكنه أن يرتب في أغلب الظن مجموعة سابقة على المتأخرة ، وتتكون هذه المجموعة من الجمهورية وفدرس وبارمينيدس وتيتاوس . ويبدل هذا النقد كل ما في وسعه كي يصل الى تكوين مجموعة متوسطة لا يزال تكوينها وترتيبها مذبذبا الى حد كبير وهي على ذلك يمكن أن تتضمن مينون وفيدون والمأدبة وأيون وميتكسانس وأوديموس وأقراطاليوس .

ولكن اليقين في هذا المنهج يقل بطبيعة الحال كلما بعد الأسلوب عن أسلوب الشيخوخة الذي يعتبر محكما لذلك المنهج . نفهم من هذا أن من الصعب تحديد تاريخ محاورات الشباب تبعا لهذا المحك وحده فنضطر الى الالتجاء الى نظام من نوع آخر يفسح مجالا كبيرا للهوى والشك . فنحن في هذه الحالة اذن لا نزال أقل قدرة منا في الأحوال الأخرى على أن نجزم بأن محاورة ما سبقت أخرى أو هي تالية عليها، ولكن يمكن القول بصفة قريبة جدا من الحقيقة ، ان المجموعة

المكونة من هيباس الأصغر والدفاع وأيتفرون وأقريتون وهيباس الأكبر وليزيس وخرميدس ولاخس وبروتاجوراس وجورجياس ، قد نشرت في الفترة التي تقع بين رجوع أفلاطون الى أثينا عام ٣٩٦ ق م تقريبا وبين رحلته الى إيطاليا عام ٣٨٨ ق م .

ومما لا شك فيه أن معاورة « الدفاع عن سقراط » هي بمثابة المقدمة المنطقية لهذه المجموعة من المحاورات . كان هذا الدفاع عن سقراط باعتباره متهما مقضيا عليه بالاعدام مهين الكرامة ، وكان الرأي العام يؤمن بهذا القول : ان المتهم يكون مذنباً في أغلب الأحيان ومن مات متهما فهو مذنب الى الأبد . فان لم يكن مذنباً ، أفلم يكن في مقدوره أن يثبت ذلك وقد كانت مهنته الوحيدة المعروفة الكلام صباحا وعشية ؟ . . . - وان كان التنفيذ السقراطي الشهير قد صلح لشيء ما فلم لم يستخدم لافحام متهميه كما كان يفعم يوميا أبطال السفستائيين والخطباء والسياسيين الذين اختارهم ليكونوا ضحاياهم ؟ . . - فاذا لم يقم بذلك - أليس فيه برهان على أن مهارته التي طالما امتدحها المادحون ليست الا عبثاً لفظياً وفناً للتلاعب بالكلمات ؟ . . - كان هذا المنهج جديراً بأن يفتخر صغار الأغرار ؛ ولكنه لا يصلح لأن يخدع من يحيون حياة واقعية من الرجال . فاذا لم يعرف كيف يصوغ الكذب ليضلل قضاته فلم لم يفرع الى العاطفة الانسانية بأن يتضرع اليهم وأن يستثير شفقتهم بشكاواه التي كانت في متناول يده والتي كان نجاحها مؤكدا والتي لم يزدرها من نازعه الشهرة ؟ كان متكبرا عنيدا وإثقا من الأيام الطويلة التي قضاها دون عقوبة . فلم يكن باهظاً

ذلك الثمن الذى دفعه ثمننا لتطاوله على الآلهة والنظم والقوانين -

ستكون محاورات أفلاطون ردا على هذا الحكم السائد .
فهي سلسلة مراقفات غير مباشرة واقناعية الى أقصى حد ،
لأنها ستظهر براءة سقراط وكرمه من أفعاله . وحسنا كان
الرد جملة على البهتان الذى بعد أن أودى بحياة سقراط
جرح ذكره وسخر منها . أليست خير وسيلة لجعله دفاعا
قويا هي أن يصدر على لسان المتهم ؟ ... - علينا إذن أن
نعيد المقال الذى أدلى به أمام القضاة وأن نضفى على هذا
المقال دون تشويه ما للبيان من قدرة خفية على الايضاح وأن
نحافظ دائما على بساطة الطريقة السقراطية وعلى عظمتها .
وبذلك تحول هذا المقال الى عرض واضح للدور الذى لعبه
سقراط فى حياته ولرسالته المقدسة وما قدمت يداه من خير
لم تقدر قيمته ، ولمقاومته الحازمة للكوارث ثم لتضحيته
التي ارتقت حتى بلغت الذروة ... هذا عين ما فعله
أفلاطون فى محاورته الموسومة « بالدفاع عن سقراط » .

أليس فى عجز سقراط عن دفع الاتهام الأخير دليلا على
أنه كان متهما سلفا ؟ ... لقد تشبع قضاة منذ نعومة
أظفارهم بأكاذيب المسرح الذى صورته فى صورة سفسطائى
ينقب فى السحب عن علم لا وجود له وفى صورة من يزدري
الآلهة . هب أنه كون من حوله عددا من الأعداء الذين
أصبحوا يضمرون له البغض ، أفلم يكن هذا خضوعا لوى
الاله دلف ؟ ... أعلن هذا الوحي أن سقراط أكثر الناس
حكمة . فلما شعر بأنه لا يعرف شيئا أخذ يتردد على من
يدعون الحكمة من خطباء وساسة وشعراء وفنانين وانتهى

باقناعهم جميعا بأنهم جهلاء . وخرج من ذلك بأن كل ما له من تفوق في الحكمة هو أن الآخرين لا يعرفون شيئا ويتوهمون المعرفة وأن له هو هذا العلم على الأقل وهو معرفته بأنه لا يعرف شيئا . رغب القوم ، الذين كشف لهم عن خداع أنفسهم في موته وازدادوا كرها له ؛ لأن من استمع اليه من الشبان سلك مسلكه في افحام المدعين وفي اثارة الحفائظ .

وهكذا ، وجد ضحايا سقراط السبيل سيده للانتقام ؛ فوجهوا اليه في غير ما مشقة نفس الاشاعات التي شاعت ضد الفلاسفة . ولكن كيف رغب سقراط في افساد الشباب ؟ . — أليس من الجنون افساد من نحيا بينهم سيما وأنا سنكون أول من يكتوى بشرهم ؟ . كيف تأتي لهم أن يتهموه بالشك في الآلهة وهم يتهمونهم في نفس الوقت بانصاته لصوت مقدس خفى ذلك الصوت الذي يسيره ويؤيده ؟ .

والواقع أن الخطر الحقيقي لم يكن في ثنايا تلك الصيغ المتناقضة التي اختلقها بكل وقاحة كل من انتيوس وميليتوس . ولكن كان الخطر يكمن في غضب الشعب الأزرق الذي سبب هلاك الكثير من الممتازين والذي سيسبب هلاك سقراط بدوره . ألم يكن تعنتا جنونيا أن يصمم سقراط في مثل هذه السن على ذلك السلوك الذي عرضه للموت ؟ . ان كان ذلك فعلينا أن نسم الأبطال وأنصاف الآلهة بالجنون أولئك الذين يفضلون الموت على المذلة . ان سقراط الذي واجه الموت في ساحات القتال اطاعة لأوامر بلاده ، سوف لا يعصى الوحي ويفر من سجنه لأن الفرار شر . ان رسالته اصلاح البشر . وسوف لا يقلع عن هذه الرسالة . لقد تقبل هذه الرسالة من أجل اصلاح أثينا ، فان أهلكوه فالله قدير على أن يرسل فردا

آخر . ان كان لا يرضيه أن يرى أثينا تتردى فى الشر وتخلد فيه . هذا الفرد سيمتنع مثله عن المشاركة فى السياسة الفعلية ؛ لأن كل من التمس نفعا عن هذا الطريق لقى حتفه سريعا . صمد سقراط للظلم سواء فى عهد الثلاثين أو فى عهد الديمقراطيين . فلم يعترف على الاطلاق بأنه مذنب ولم يتزلف قضاته . لقد اتهموه ؟ . . فليكن ! . . اما الغرباء فقد قبلها بعد لآى ؛ لأن أفلاطون واقريطون واقريطوليوس وابولودوروس سيؤدونها عنه . ولكنه لا يستحق فى الواقع الا أن يعيش على نفقة الدولة فى مجلس الشيوخ باعتباره مصلحا للمدينة . أيحكم عليه بالنفى ؟ بتاتا ! . . فكيف تتحمل نقده بلاد غيره بلاده فى حين أن هذه الأخيرة لم تطلقه ؟ . . أما أن يحيا دون اعمال فكره فليست هذه حياة . فالموت اذن سيكون مصيره ، وقد تقبله سقراط دون وجل . سوف لا يفرق الموت الأثينيين وسيكون لديهم بعد اختفائه نقد آخر يفوق الأول شبابا وقسوة ، بل ان الموت هو الدعة فى نوم لا تشوبه رؤيا أو أمل فتان . ستكون الإقامة فى العالم الآخر الذى يسكنه القضاة العادلون والأبطال الأقدمون . . خير دار له . فما كانت الحياة وما كان الموت ليسينا الى رجل الخير .

٤ - جورجياس أو العلم الضرورى الوحيد

يمكننا أن نقول ان فقرة واحدة من محاولة الدفاع تلخص المنهج الذى يسندو أن المحساورات الأولى أرادت استيعابه . شرع سقراط ، لكى يقف على معنى وحى دلفوس ، فى القيام بجولة نقدية تتناول استجواب جميع قواد المدينة

كل بدوره واقناعهم بالنقص . وكانت فصول هذه الجولة المتباينة ، فصولا متنوعة من رواية اختلطت فيها المآسى بالمهازل ، هى التى أخذ أفلاطون يقذف بها الواحدة تلو الأخرى الى الجمهور الأثينى .

فى محاورة لآخس ، سخر من سلامة النية المعتادة العاجزة التى تراها عند الممتازين من الناس . والدان نبيلان يظهران فى هذه المحاورة جادين فى البحث عن وسيلة لتنشئة ابنيهما اللذين يحملان اسمى جديهما قيوسيديد وارستيد . وهذا كل ما أمكن الأبوان أن يهباه ابنيهما ، مع ذكريات عن الأسرة براءة . وهكذا عجز أعلام الدولة عن أن يجعلوا من أبنائهم شيئا آخر غير مجرد ذاكهة فجأة . ولما طلب من القائدين الشهيرين نقياس ولاخس أن يدلوا برأيهما فيما يختص بخير وسيلة لتربية هذين الشابين تعذر عليهما تماما أن يكونا رأيا واضحا ، بل كان من الواجب أن يرسلوا نفسيهما الى المدرسة . وقدمت محاورة ايتيفرون عرافا شهيرا يتحكم حسب هواه فى معتقدات الجمهور ويعلمهم احترام الآلهة ولكنه لا يفسر ماهية الدين وماهية التعبد . وفى المحاورات الشيقة هيباس الأصغر وهيباس الأكبر وبروتاجوراس وجورجياس ، يظهر السفسطائيون والخطباء وهم يغدقون فى وعودهم ويظهرون فصاحتهم ، ثم يستجوبهم سقراط ويعيدهم فى مهارة الى موضوع الحديث فى كل مرة يشطحون فيها ، وعبثا يحاولون ستر جهلهم .

ولم يبد أى أثر مدرسى فى النسيج المنطقى المحكم لهذه المؤلفات . فوجد الأثينيون المولعون بالمسرح فيها أنواع الروايات على اختلافها ابتداء من الدعابة بين شخصين من

جنس أصحابك الألاعيب كما نرى في هيبياس الأكبر ، الى الكوميديا في أسمى معانيها كما تقدمها معاورة بروتاجوراس ، حيث يظهر أعلام السفسطائيين على المسرح بمجرد الانتهاء من ديباجة المعاورة فيأخذ كل منهم في الخطابة وسط حلقة مستتمية دون أن تفوته مراقبة الحلقات الأخرى . ثم يجتمعون بعد ذلك للنقاش حيث تسمح ثنايا الحديث وسكناته لكل شخصية ، سواء أصغرت أم كبرت بأن تمرض نفسها وتقوم بدورها . وفي المهازل وفي الكوميديات المتزنة على السواء يشعر القارئ بعركة حيوية وبشكون مسألة لها خطورة عظيمة . وفي كوميديا الصراع الموسومة جورجياس يتزايد الانفعال من فصل الى آخر حتى يبلغ أعلى درجة من درجات المأساة وتصاغ المسألة الخطيرة حقا على هذا النحو : « الى من نعهد بنفوسنا وبنفس المدينة ؟ .. ما الشيء الوحيد الضروري ، وأية خطة توصلنا الى اليقين فيه ؟ .. من مخلصنا ؟ » .

وضعت هذه المسألة في مستهل معاورة بروتاجوراس ، كما لو كانت وعيدا منذرا . سأل سقراط ، الفتى هيبوقراط الذي حضر مسرعا يوقظه في الصباح الباكر طالبا في شوق أن يقدمه لأحد كبار السفسطائيين ، ان كان يدري مقدار الخطر الذي سيعرض نفسه له . فمن يكون ذلك الرجل الذي جهل عنه كل شيء خلا اسمه ومجده الرنان ؟ .. انه تاجر وسمسار علوم . يشتري غذاء روحه على هذا النحو من أول شخص يقابله ؟ أليس في ذلك « مقامرة بحياته » ؟ يجلب غذاء الجسم في وعاء ومن الميسور فحصه في المنزل ، أما غذاء الروح فانا نتقبله مرة في العمر وبمجرد تقبله لا يسمنا أن نتناوله أو نطرحه .. فقد ركب فينا ان

خيرا وان شرا . وفى قلب المعاورة يتابع سقراط . وفى كثير من الدهاء ، مع بروتاجوراس المتملص ، مناقشة تؤدي الى نفس السؤال : من أين يأتينا السلام ؟ . . . واذا سلمنا مع بروتاجوراس بأن السعادة ليست الا قدرا معقولا من اللذات ، السنة محتاجين أيضا فى تعيين هذا القدر الى علم بالمقاييس ؟ أعلن سقراط أن العلم سام فى رأيه . فما من شيء يمكن أن يستظهر عليه ، وفيه وحده يجب أن نبحث عن السلام الذى ننشده .

ولكن أى علم ؟ . . . ان أقوى اتجاهات العصر لتجيب : « انه البيان » ، ومن العبث أن نبحث خارج نطاقه عن خطط معقدة كثيرة التفصيل ، وأن نفنى حياتنا فى السعى وراء حقيقة لا يمكن الوصول اليها . ان الخطة التى تخلصنا هى التى تجعل منا أسيادا لعقائد البشر . والبيان آلة الاقناع التى لا تفشل ، والعلم الدقيق المضنى ليس من شأن البيان فى شيء ، وبفضله سيكون من لا يعرف أكثر انقيادا ممن يعرف ، ولما كان البيان سيدا للعقيدة فقد أمسك بسبل السلطان . ان البيان ليس سلاحا للدفاع فحسب ، بل هو سلاح للهجوم كذلك . فهو يكفل اذن لمن يجيد استعماله قدرة كاملة فى المدينة لأنه يوجد العدالة الحقبة والقوة ويدير أو يعكس العقبات الشرعية الخاصة التى يخيل لجمهور الضعفاء اقامتها فى وجه الأقوياء . ان الاعراض عن البيان والسعى عن طريق علماء يجادلون بالباطل لايجاد حقيقة وعدالة عالية لا يعلم أحد كنههما والتظاهر بحب الحكمة وبذل العمر فى التهامس فى مكان قصى مع نفر قليل من الشبان ، ليس هذا كله مسلك رجل فى الحياة بل هذا مسلك جدير بالعبيد ، انه اعداد لارتعاد الفرائص وانفراج

الشدقين والخضوع مقدما لكل ضروب التنكيل اذا قادت الظروف المرء الى الظهور فى ساحة القضاء .

تلك هى النظرية التى عرضها وحاربها أفلاطون فى محاورة جورجياس . لقد قسم تلك النظرية الى ثلاث صيغ متتالية : « ان البيان آلة الاقناع » فمن الذى يستطيع ان يبسط هذا المبحث خيرا من جورجياس المتخصص فى سحر الكلام ؟ . . يذكر تلميذه بولس القلو المتحمس الوقح فى سفه غايات هذا الاقناع ، ويتشدد بأن البيان آلة القدرة التامة وخالق لتلك المتعة القصوى أعنى « الطفيان » . وأخيرا ، يعلن الأوليجاركى خالقليس النبيل المثقف الدمث أحيانا اللفظ فى أحيان أخرى أن الحق للقوة ، ويكشف عن التعارض الأساسى بين الطبيعة والقانون ويبين وجه الدهاء فى ذلك القانون، حيث تكاتف الضعفاء لاستعباد الأشبال عن طريق مذاهب كلها افك وبهتان ، لقد تمنى بكل جوارحه أن يولد الانسان الكامل ليهشم كل قواعد العدالة والمساواة ويعود الى « حق الطبيعة » الى القوة الهائلة الجبارة . هل نشر أفلاطون هذه المحاورة ردا على تلك الرسالة الباطلة « اتهام سقراط » التى كتبها يقينا بعد سنة ٣٩٣ ق م بوليقراتس السفسطائى ؟ . . قد يكون ذلك ، ولكن من المؤكد أن أفلاطون اذا لم يكن قد وقع على تلك الرسالة التشنيعية ، فقد عثر على كثير غيرها مما دفعه الى تأليف تلك الرواية الشيقة فى الأخلاق الانسانية ليجمع فى هذا المؤلف القوى ، الأفكار الخطيرة التى تفسر أمام عينيه انحلال الروح العامة وتفسر منهاج السياسة الأثينية الضال . يجعل أفلاطون هذه الأفكار الخطيرة فى مقابل الحقيقة التى حياها

سقراط ودافع عنها وفي مقابل المثال الأعلى الذى أخذ على نفسه تقديسه . فكانت محاورة جورجياس بمثابة دفاع وخطة للسير .

ليس للخطباء الحق فى أن يسخروا مطلقا من سقراط : لأنه وقف حياته على البحث عن علم كلى ضرورى ، وليس لهم أن يسخروا من عجزه أمام اتهام جائر : أيدعى البيان أنه علم ؟ ليس البيان الا مهارة رخيصة وفنا للتملق . ولكنه يضمن القدرة ؟ . . نعم ، بالنسبة لأولئك الذين يعبدون القوة ويتملقون الطاغية ان كان حاكما فردا أو جمهورا مستقلا - ولكى يسايروا الظلم المتغلب جعلوا من أنفسهم ، قوما ظالمين - انها لبضاعة رخيصة : أن نزرع الفتن لنحصد النجاة . . بل خير لنا أن نتحمل الظلم من أن نرتكب الضلال .

هل القوة اذن كسب ؟ . . - هل السعادة هى حق القوى الذى أشاد بذكره خالقليس ؟ وهل هى قدرة الانسان التامة وتزايد رغباته ومتعته تزايدا لا حد له ؟ . . - أليس حق القوة على النقيض من ذلك جنون معتل منغص من حاك قروحه ؟ . . - ان السعادة هى الخير ، والخير سواء أكان خير النفس أم خير المدينة أو كائنا ما كان ، فهو النظام والانسجام الداخلى والتوافق والخضوع للغاية التى نسعى اليها .

ان كان الظلم قد بدا منتصرا ، فيما ذكرنا ، فلنوقن أن الموت الذى يكشف عن النفوس سيورث الأشرار بؤسا دفيئا ، فالسعادة لأولئك الذين يقابلون الموت بقلوب طاهرة ، والشقاء لمن يخلدهم الموت فى ظلمهم ! . . .

٥ - الرحلة الى ايطاليا

وتأسيس الأكاديمية

كل شيء يحمل على الاعتقاد أن نجاح المحاورات لم يكن مجرد نجاح فى عالم التأليف ، فقد وجهت المحاورات الشباب الأثينى الوجهة التى كان يرجوها أفلاطون . ولقد اختار أفلاطون ذلك الضرب من الحياة الذى سخر منه فى عنف ممثل الأوليجاركيين ، فى اللحظة التى أخذ فيها النقاش يبلغ أشده بين سقراط وخاليقليس بصدد التقابل بين البيان والفلسفة . لقد قرر أفلاطون أن يفر مدة طويلة ان لم يكن الى الأبد ، من المنتديات الأثينية ومجتمعاتها ومجادلاتها السياسية وأن يختفى فى موت ظاهرى . . باذلا حياته فى التهامس فى مكان قصى مع نفر قليل من الشبان . . وكان فى سبيل تكوين جماعة منظمة من حوله ، يمكنه أن يعهد اليها بالسياسة الوحيدة للسلام : سيكون شبابا خالص النية متحمسا ثابت العزم ، عن طريق الدرس والتأمل المشترك فى ذلك العمل النبيل وهو إعادة تنظيم المدينة على أسس من العدالة والقانون . كان وضع هذه الأسس فى ذهن أفلاطون كما كان فى ذهن سقراط ، مهمة علم العلوم . هذا العلم الأسمى الذى تتجه نحوه الفروع الأخرى اتجاها نحو كمالها وغايتها هو العلم بالخير ، وهو فى نفس الوقت أخلاق خاصة وأخلاق عامة واسمه الحقيقى علم السياسة . وتميزه محاورة جورجياس بأن يجعله فى مقابل تقليده الخداع أعنى البيان الذى أقحمه السفسطائيون فى عمل السياسيين . ان هذا

العلم لا يصدر عن التعمود والذاكرة والتخمين ، بل يستخلص عن طريق الاستدلال . وهو يقيم وزنا لما يرتكن عليه ويتقدم عن طريق الحد والبرهان واستخلاص النتائج ويربط بين أسبابه « بروابط من حديد ومن ماس » . ان الفكرة التي تذهب الى أن العدالة الهندسية هي العدالة المثلى لدى الآلهة كما هي الحال لدى الانسان ، والاستعانة بالعلماء الذين يقولون بأن الأرض والسماء ، والبشر والآلهة ، يربطها توافق تام ، والذين ينظرون الى العالم تبعا لذلك كأنه تأليف متجانس ، كوزموس ، ان هذا وذاك ينير لنا السبيل الذي يجب أن نلتمس فيه نموذج ذلك العلم . أدرك أفلاطون ، تلميذ وصديق تيودوروس من سيرينيا ، أن المقتضيات السقراطية للفكرة الواضحة والمعرفة التي لا تخطئ تفرض على علم الخير اتباع المناهج والدقة الرياضية .

كان في ايطاليا الجنوبية في ذلك الحين « رياضي » ذائع الصيت كأن يجمع في شخصيته جمعا تاما بين مواهب العالم ومواهب رجل الدولة هو أرخيتاس أحد مؤسسي الميكانيكا العلمية وعلم الصوت ، وهو كذلك كما يذكر أرسطو أحد أولئك الباحثين الذين « سموا بالفيثاغوريين » . والواقع أن هؤلاء لم يرثوا ما يزعمونه من تعاليم سرية عن حكيم ساموس وأقريتونيا ؛ ولكنهم مجاراة للروح التي سادت الأدب في ذلك الوقت أحبوا أن يكسبوا مذاهبهم ما للعصور القديمة من تأثير فاخثفوا بطبيعة الحال في مدينة التراث الأورفي والفيثاغوري ، تحت ذلك الاسم الساحر الذي أصبح أسطورة منذ أمد طويل ، أعنى اسم فيثاغورس . كان أرخيتاس يناهز أفلاطون السن ويجب أن يكون قد مات قبله بعشرين عاما ، وعلى وجه التقريب عام ٣٦٥ ق م .

عاش في مدينة تورينا في شمال ذلك الخليج الذي تحيط به مدن شهيرة في تاريخ الفيثاغورية والأورفية كمدينة متابونتس وسيباريس وبتليا وكروتون . كان سياسيا قديرا وقائدا موفقا تولى الحكم سبع مرات رغما عن القاعدة التي تحظر على المواطنين في تورينا أن يتقلدوا هذا الشرف أكثر من مرة واحدة . وحكم في مسقط رأسه ، كما فعل بركليس ، حكما مطلقا في الواقع دون الظاهر . ومهما يكن من أمر الظروف الحقيقية التي قادت أفلاطون إليه ، فإن مقابلة حاكم فيلسوف رياضي قد تجاوبت : في تلك اللحظة . مع تمنياته الحقة .

كانت مدينة الباحثين عن السلام هذه تنبض بالحياة الماجنة كذلك ، وقد حافظت سيباريس على شهرتها ولكن تورينا نفسها ، كما يروى أفلاطون في محاوراة القوانين ، كانت غارقة بأسرها في السكر طيلة أعياد ديونيسوس . وسيرى أكثر من ذلك في سيراقوزا : من موائد لا ترفع وافراط في المأكول والمشرب ، ذلكم ما قدمته له ، بادئ بدئ ، مدينة الطاغية دنيس الأول وما حباه به قصره .

مزقت الأحزاب سيراقوزا بعد أن انتصرت أثينا على الغزو ؛ بفضل غيرة هرموقراط الذي دافع عنها وبفضل مساعدات لاقيدومونيا الفعالة . ثم أقصى هرموقراط وقامت ديمقراطية متطرفة لم تتمكن من الحيلولة بين القرطاجنيين العدو التالد ، وتدمير سيلينونتا وهيميرا واغتصاب أجريجاننا في آخر الأمر . وقتل هرموقراط في محاولته دخول سيراقوزا عنوة ، بعد أن كان قد قام بحرب ضد القرطاجنيين على نفقته الخاصة . واستغل دنيس ، أحد أنصار هرموقراط الفتيان ، ثورة النفوس التي أحدثها سقوط أجريجاننا فتقلد

السلطة ثم أصبح الحاكم الوحيد واستطاع بطريق المناورات أن يركز كل القوى الفعلية في شخصه .

وفي عام ٣٨٨ ق.م هذا ، وبعد سبعة عشر عاما من حكم الطغيان ، كان قد انتهى من اقضاء القرطاجنيين في الطرف الغربي من صقلية ، وجعل الجزيرة بأكملها على وجه التقريب تحت حماية سيراقوزا ، بل وتقدم زيادة على ذلك بفتوحاته في ايطاليا الجنوبية ، وكان نفوذه قد قوى في اليونان بأسرها فأخذ يعد العدة لتقوية ذلك النفوذ ، خدمة لأطماعه الشاسعة ، بأن يشترك في الألعاب الأولمبية التي تقام في الخريف القادم . وفي هذه اللحظة التمس منه صهره ديون ، الذي كان رئيسا لوزرائه والذي لم تنقطع رغم ذلك صلته بحكام تورينا أن يدعو أفلاطون للحضور .

لم يتمكن هذا ، يقينا ، من التنبؤ بالنتائج البعيدة لتلك الرحلة ، النتائج التي جعلت من تاريخ صقلية تارينا لحياته الى حد ما . ولكن مقابلة طاغية من شاكلة دنيس اتفقت مع ما كان يخامره من أفكار كالحال في مقابلة رجل الدولة الفيلسوف أرخيتاس ان لم تكن قد زادت على ذلك . تشهد الرسالة السابعة على صحة ما تدفعنا محاورة جورجياس الى افتراضه ، ففي اللحظة التي زار فيها أفلاطون ايطاليا وصقلية للمرة الأولى كان قد أدرك تماما رسالته في الحياة ، وكان قد وضع في نفسه منذ ذلك الحين المبدأ الذي تفضله محاورة الجمهورية : « لن يسود السلام المدن الا اذا أمسك الفلاسفة بزمام السلطة ، أو أن يتحول من بيدهم السلطة من الرجال الى الفلسفة الحقيقية » .

لم يفكر أفلاطون مطلقا فى محاولة ادخال حكم الفلسفة بالقوة فى مدينته الخاصة أثينا . ولم يؤلف معاورة أقریتون الا ليظهر فى سقراط ، ويذكر على لسانه احترام قوانين البلاد احتراماً مطلقاً . فعلى كل مواطن غير قادر على اصلاح بلاده بالوسائل المشروعة أن يلزم الطاعة والصمت . أما العنف فهو عقوب بالنسبة للوطن كما هو عقوب بالنسبة للوالدين . فلم تكن لدى أفلاطون اذن فكرة أخرى حين ألف جورجياس الا أن يكون أثناء الدرس أو أثناء الفراغ، القادة الذين يحملون الأثينيين ، حين تسنح الظروف ، على قبول هذا النموذج من الاستبدادية المتنورة . ولكن أليس من الميسور أن نفيده من العنف القائم فى الأماكن الأخرى ، وأن نختبر فى هذه البلاد التى ستكون ميدانا للتجربة ، المستبددين الموجودين ؟ . . - ذلك هو المجهود المزدوج الذى شغل أفلاطون مدى حياته .

على أية صورة حاول هذا الاصلاح بالنسبة لدنيس؟ . . - وهل كان فى حاجة الى أن يجرى هذه المعاورة على نحو خاص حتى يثير غضب الطاغية ؟ . . - ألم يكتف هذا الأخير برؤية العالم ، الذى كتب فى معاورته جورجياس صفحات دامية عن أركيلاوس طاغية مقدونيا ، يؤثر بسرعة فائقة فى دنيس الصغير ؟ . . - فكان أن اضطر أفلاطون ذات يوم الى الابهار على سفينة لاقدومونية، وكانت اسبرطة فى حرب مع أثينا منذ عام ٣٩٥ ق.م واتخذ أسطولها أجينا قاعدة له وكان يشرف من هناك على ميناء بيريه ويقلق شواطئ أتيكا . ولما نزل أفلاطون فى هذه الجزيرة المعادية لأثينا بيع بيع الرقيق . واشتراه لحسن الحظ أنسپريس من سيرينيا . فأعاده الى أصدقائه وإلى الفلسفة .

وعلى الرغم من أنه طرد من بلاط سيراكوزا على هذا النحو من القحة ، فقد رحل منتصرا الى حد ما اذ ترك أحد حلفائه في مكانه . عمل أفلاطون دون قصد ، كما يذكر ، بتحويله ديون الى أفكاره الاصلاحية ، على تحطيم الطغيان ، ذلك لأن الأمير الصغير سيحيا ، وسط الفساد الذى يحوطه مشايخا للفلسفة . وكانت صداقة الأمير بالنسبة لأفلاطون ، منبعا للسرور الغزير وآمال فشلت تمام الفشل . فلئن لم يتمكن من تحقيق المدينة الكاملة التى تمنها حتى عن طريق ذلك التلميذ المقحمس المخلص ، فلعل هذا السرور وتلك الآمال أن تساعد في جو الأكاديمية الصامت على العمل البطيء في التعليم والخلق الأدبي . ذلك العمل الذى يجب أن يكون قد أكد لحلمه أثرا يتضاعف في الزمان والمكان .

أعجب أفلاطون في ايطاليا بالاخاء القائم على أسس عملية الذى استحدثه الفيثاغوريون فرغب ، حين عودته ، في أن يهب المجادلات التى كان قد بدأها منذ فترة من الزمان مع الطلبة الذين جذبتهم محاوراته ، شكلا ثابتا وتكويننا منتظما . فآلف في حدود القانون ، جماعة دينية ، وجمعها في مكان صغير مقدس موقوف على آلهة الشعر ، في الحديقة التى تحيط بملعب الأكاديمية في الشمال الغربى من أثينا على بعد ستة فراسخ تقريبا من باب ديفيلون . ثم أصبح المكان المقدس والأرض المحيطة به ملكا لما يمكننا أن نطلق عليه منذ ذلك الحين مدرسة الأكاديمية . أما بالنسبة لغرضها فكانت شيئا شبيها بمدرسة للعلوم السياسية ، وأما بالنسبة لتكوينها فكانت شيئا شبيها بمدرسة دينية على درجة من الاتساع ينضم اليها الأعضاء دون قيد ولا شرط؛ ولكنهم يعملون عادة في تكوينهم الأخلاقى والعلمى من حول أستاذ

يوجه العمل ويمنع الشطط • كان المرمى البعيد اصلاح
المدينة ، أما المرمى المباشر فكان اصلاح النفوس عن طريق
التطهير الذهني والبحث العلمى والتقدم الحثيث نحو
الحقيقة الكلية •

العلم المثالى

١ - الحقائق المعقولة

وضع أفلاطون نصب عينيه أن ثمة حقيقة - أليست هذه هى العقيدة التى بعثت الحياة فى نقد سقراط الدائم وسعيه وراء الفكرة الواضحة وتشدده فى ايجاد التعريف الثابت المحدد الذى يستخدم قاعدة للفعل الانسانى معترفا بها من الجميع ؟ - ألم يكن فى سبيل حقيقة كهذه وعدالة غير معتمدة على هوى الأفراد وقاعدة لا تتغير بتغير الأفكار ، أن ضحى سقراط أخيرا بحياته ؟ - ان الذى سمى المدينة فكرة مؤداها أن الفرد مقياس كل حقيقة ، وكل قانون كما هو مقياس لاحساسه باللذة والألم : فعقيدته ورغبته وفعله تخلق قانون الأشياء وكيانها كما تخلق قانون المجتمعات وكيانها فما من شئ الا ويصدر عن نفسه وعن ارادته . فان أردنا فى وقت ما أن نصلح الحياة العامة ، وجب أولا أن نصلح الأذهان فنوجهها من أجل ذلك نحو محور ثابت ونعيد فكرة الحقيقة اليها ونبعث فيها من جديد حب الحقيقة الذى لا يقهر .

زاول أفلاطون هذا العمل فى الاصلاح الذهنى عن طريق تعليمه فى الأكاديمية وعن طريق مجاوراته . فهل

يتطرق الى نفوسنا شك اذا ما قسنا محصول أفلاطون ومنهاجه في تعاليمه على محصول ومنهاج أعماله المكتوبة ؟ كان النسق المتشابه الذى سار عليه هذا الانتاج الأدبى فى الفترة بين تأسيس الأكاديمية وبين رحلة صقلية الثانية مثلا (٣٨٨ - ٣٦٦ ق م) ، كافيا لأن يطمئنا (على صدق هذا القياس) . فلم تنضب مادة المحاورات ان لم تكن قد صارت أكثر اتساعا وأكمل شكلا وأدسم مذهبا . والواقع أن هذه المحاورات تعتبر اصدق معبر عما كان يحدث فى المدرسة : فكانت تحافظ على التجانس بين قلوب الطلبة ، وكانت تحمل الى المطالعين الخارجين هتافات تستميلهم وقد تقودهم يوما الى العتبة الخارجية .

فلا بأس علينا اذن ان تركنا أنفسنا تذهب مع فتنة هذه الدروس الروائية ولنقرر أن حديث الأستاذ فى الدروس الداخلية على شدة عمقه ، بالنسبة لنضج الطلبة وحسن تكوينهم ، زاده زخرا ما كان يسوده من حياة ونزعة شعرية . ويذكر لنا ذلك أفلاطون نفسه الذى احتفظ عمله الأدبى ، خلال الأجيال ، بومضة فكره الحية : ان الدرس المكتوب كالتمثال الجامد لا يملك ايضاحا ولا حجاجا ، ولكن الحديث الذى تبث العلم فى ثناياه لا يكون بمثابة الصنم فى قلب الطالب بل هو حياة وهو روح . . تمثل الشك الجورجياسى ، وتمثلت النسبية البروتاجوراسية على الأخص بشكل جلى فى صيغة الفعل الانسانى الذى يصل الى أقصى درجات الحرية والخلق . ويحفر أفلاطون الى أعماق بعيدة حتى يتمكن من اظهارهما « جورجياس وبروتاجوراس » ، متشبثين بأطراف واهية فى لجة تصور ميتافيزيقى عام عن طبيعة الأشياء . فهو يكشف لنا فى بروتاجوراس عن تلميذ لهرقليطس ، ابتداء

من محاوره اقراطيلوس . فان قال الأول ان «الانسان الذى أكونه مقياس للوجود والحقيقة ، والأشياء كما تبدو لى هى كذلك فى الحقيقة لأن وجودها فى أية لحظة ليس سوى ما تبدو عليه » ، فان الآخر قد أعلن أن « الأشياء جميعا ليست سوى صيرورة وسيال دائم ، فما من شىء يبقى على حاله وما من شىء يوجد ، عدا هذا القانون ، ان كل شىء يتغير ويمضى دون توقف » .

كيف يمكن أن تقوم للعلم قائمة فى هذه الأحوال ، ذلك العلم الذى يكفل دون سواه القانون والعدالة والخير وهى نظم المدينة المقدسة كما هى الحال بالنسبة للفرد ؟ . ود أفلاطون لو يظهر التعارض بين أستاذه اقراطيلوس وسقراط كما كان هذا ظاهرا فى وعيه فى مؤلف أدبى . فسقراط الذى عاش اقراطيلوس فى صباه مدة قصيرة ، حمله على الاعتراف بأنه لو لم يبق شىء على حاله لما وجد الفكر شيئا يتناوله بالبحث . . وعلى ذلك لن توجد موضوعات للمعرفة ولا ذوات عارفة . ولكن اذا أمكن أن تؤكد أن « الجميل والخير وكل ما يدخل تحت هذا الجنس من الأشياء » لها حقيقة وأن هذه الحقيقة ثابتة ، وهى على الدوام ما هى عليه ، ولا تتغير كل حين حسب وجهات النظر المختلفة ، وجب علينا حينذاك ، رغم عناد اقراطيلوس ، أن نقول وداعا يا نظرية هرقليطس .

ومع ذلك ، فان نظرية هرقليطس صحيحة ، هى صحيحة بالنسبة لكل ما يسمونه بالوجود والحقيقة ؛ لأنهم لا يعتقدون حقيقة الا ما يرونه بأعينهم ويلمسونه بأيديهم . نعم ، ان ذلك العالم الذى يعيشون فيه ، هو حقيقة « عالم يمضى ويزول » . وتلك الحقيقة التى يتظاهرون باصابتها ليست

الا مظهرا عابرا • قد أحبوا الأنغام المتوافقة والألوان المتجانسة والأشكال المنسجمة ، تعلقوا بالبدن وبجماله الزائل ورغباته المتغيرة واحساساته المحدودة • وهذا جميعه ليس الا قصورا وخداعا وكذبا • فذلك المظهر المتحول يمكن أن يصير موضوعا لعقيدة أو لفكرة هي بدورها متغيرة على الدوام ولكنه لا يمكن أن يكون موضوعا لعلم ما •

وما دمنا نؤكد ضرورة العلم ، وما دام وجوده مقدسا بالنسبة اليينا كما هي حال العدالة للخير ، وجب أن نؤكد كذلك أن له موضوعات أخرى غير الأباطيل الزائلة التي تضلل مطلبنا للمعرفة وللحب ، فموضوعاته روحية ومعقولة • لا تراها أعيننا ولا تلمسها أيدينا ولكن تدركها أذهاننا وتجد فيها الحقيقة الراسخة والوضوح التام والجمال الثابت التي تبحث عنها • ذلك أن الأشياء المحسوسة ليست في الحقيقة كائنات ، فليس لها شكل ثابت ولا بناء محدد ما دامت تظهر وتختفى دون أن توجد بتاتا • أما الجواهر المعقولة فعلى العكس من ذلك هي كائنات حقيقية ، فلكل منها بناؤه وصورته (ايدوس) الثابتة المتميزة ، هي (ايد) أو (ايديا) هي المثل وهي ليست من تصورات النفس بل هي الحقائق الخالدة التي تضيء ومضاتها النفس كما يدعم كمالها النفس ويغذيها •

فاذا كانت الحقيقة الحققة ، موضوع العلم ، مصنوعة من مثل هذه الجواهر الروحية ، ألا يحق للشعراء اذن أن يقولوا انها بعيدة عن متناول الانسان ؟ • انها من مملكة أخرى هي فوق مستوى البشر وهي قدسية • ولا يفتأ أفلاطون من موضع لآخر في مؤلفاته : من فيدون الى

الجمهورية والى فدرس ومن فدرس الى تيماسوس يعلق أن الحقائق الحقّة جواهر مادية ، سرمدية قدسية لا يمكن أن يتأملها الا ذهن ألهى فحسب . فماذا أفدنا اذن من وجودها ، وهل يمكن أن تقف رغبتنا عند مجرد معرفتها فحسب .

٢ - الرؤيا السعيدة والوجود السابق

أخذ السؤال صورة أشد صرامة وأقوى شكا ابتداء من محاورة مينون « كيف يمكن البحث عن المجهول ؟ » - ليس ذلك مجرد تلاعب بالألفاظ - فالبحث عن شيء ما يقتضى الماما بسيطا بموضوع البحث ويقتضى امكان افتراض غاية للبحث محددة الى درجة ما ، وبدون ذلك لا يمكن أن نتعرف موضوع البحث حتى لو وقفنا عليه عن طريق الصدفة .

أما رد سقراط ، فقد أصاب الكلمة المشهورة « لن تبحث ان كنت قد عثرت على موضوع البحث » اذ قال : « هذه المعجزة لا يفسرها الا الكهنة الروحيون والشعراء الالهيون ان كانوا مخلصين » فهم يذكرون فى تعاليمهم أن الروح خالدة وأنها لا تخرج من الحياة الا لتدخل فيها من جديد؛ لأنها لا تفنى على الاطلاق . وبذلك تكون قد أبصرت كل شيء سواء فى عالم الشهادة أو فى عالم الغيب، وما دامت قد وعت سالف كل شيء ، فان ذكرى أولية تكفيها اليوم لتبعث فيها من جديد جميع الذكريات الأخرى » ، وتنبهنا محاورة فيدون الى أن هذه الاستعادة وذلك التذكر انما توقفنا على الصورة والظل فحسب - أما الحقيقة عينها ، فلا نحصل عليها الا ان عدنا روحا عارية قدسية متحللة من البدن . وعلى ذلك فالعلم الذى

منتهجه البحث ما هو الا وسيط بين العلم الذى كان لدينا من قبل والعلم الذى سنحصل عليه فيما بعد . والمعرفة الانسانية ليست الا انتقالا بين نوعين من المعرفة احدهما عالية على البشر والأخرى الهية .

كيف نعبّر عن هاتين الحالتين من التنوير السماوى ، حيث لا يوجد على الأرض ما يمكن أن يرشدنا اليهما ؟ . . وكيف نصور هاتين القمتين حيث تكون النفس عارية لا تجر فى أذيالها أى أثر لتلك الظلال البدنية التى نسميها صورا ؟ . . - عن طريق الشعر وعن طريق الأسطورة . ولنذكر أن الشاعر هنا انما هو فيلسوف وصاحب عقيدة . فان جارى تأليفاته ، فانما يصدر ذلك عن بحث لا عن تخبط وهوى . فهو يثبت ، اعتمادا على تجربة لا يجحد أثرها واستدلال سيق فى تودة ، الحقائق بدلا من أن يتركها دون التعبير عنها ، يخلق بخياله ما ينوب عنها ويحل محلها رموزا يعرفها ثم يذكر لنا قيمة الاشارات وما تحمله من افتراض ايجابى ، ويذكر فى نفس الآن عدم كفاية الصور . ونجد ذكر الرؤية السعيدة السابقة على الحياة الراهنة ، تلك الرؤية التى ترد فى صيغة التأكيد غالبا وفى صيغة الاحتمال أبدا فى محاوره فيدون بوجه خاص .

كل ما هو روح يكون سرمديا . لأن حركة العالم تتطلب منبعا لا ينضب ، هذا ان كنا لا نسلم بأن العالم سيفنى فى لحظة معلومة . هذا المنبع لا بد وأن يكون مبدءا سرمديا على الاطلاق ، لم يبدأ ولن يفنى . ومحرك من هذا النوع لا يمكن أن يكون جسما - لأن كل جسم يتلقى حركته من الخارج . فيكون اذن روحا ؛ لأن الروح تتحرك بنفسها وهى وحدها التى يمكن أن تكون منبعا تلقائيا للحركة لا ينضب .

وبذلك نثبت سرمدية الروح عن طريق استدلال قائم على ظاهرة الحركة الكونية الدائمة - أما شرح ماهية النفس وطبيعتها الدفينة فهو عمل طويل مضمّن - ولعل رمزا انسانيا يهبنا فكرة عنها في سرعة -

لنتمثل اذن عربة يشدها جوادان ويقودها سائق وتكون الجياد والقادة بالنسبة للنفوس الالهية كلها من جنس طيب ، وتظل هذه النفوس محلبة في المناطق السماوية دون جهد بأجنحتها القوية يغذيها على الدوام جوهر غير مادي هو الحكمة والجمال والخير ، وتسيطر من هناك على حركة الكواكب - وفي الطليعة يذهب زيوس سيد السموات المطلق في عربته ذات الأجنحة يحكم الكون ويصرف أموره - وتتقدم من بعده مواكب الآلهة والشياطين في احدى عشرة مجموعة - أما الهة هستيا ، الثانية عشرة ، فتبقى وحيدة في بؤرتها - وأخيرا ، ومن خلف تلك النفوس التي لها الرغبة والسلطة ، تقوم النفوس الأخرى بهذه الجولة البديعة في طيران يتفاوت شدة وضعفا - ترى قائدهم مشوقا لأن يرقى المنحدر العنيف الذي يصعد حتى يبلغ قمة القبة السماوية ، ولكن جيادهم ليست خالصة الدم - وعندما تبلغ النفوس الذروة تستمر ما تستحق منها لقب الخالدة ؛ حتى تصل الى خارج نطاق السماء وتستريح فوق « ظهر السماء » ، وتظل مرفوعة أثناء الدورة اليومية تتأمل في هدوء المنظر الآخذ بالآلبياب -

لم يستطع شاعر حتى الآن ولن يستطيع أحد أن يصف ذلك المكان للسماء الوصف اللائق به - هنالك تعاين الآلهة والنفوس القدسية الحقيقة الحقّة التي لا تقدم للتطلع لونا ولا شكلا ولا تقدم للمس سطحا محسوسا ، تلك هي وحدها

الحقيقة التي يتأملها العقل المحرك للنفس • وهي العدالة والحكمة والعلم ، ولا نغنى بالعلم ذلك الذي يتعلق بالأشياء الزائلة ولا ذلك الذي يتغير على الدوام تبعاً للموضوعات المتبدلة التي نسميها كائنات ، ولكننا نقصد العلم الذي يظل متعلقاً بالحقيقة الثابتة •

ولكن النفوس جميعاً لا تبصر مطلقاً على هذا النحو من الكمال ، إذ تتعذر علينا قيادة دوابنا : فقد يكون أحد الجياد طيباً أصيلاً ، في حين أن الآخر يكون رديء المولد شموساً • تحوز مثل هذه الروح في الارتفاع ما يبلغه القائد ساعية أثر الآلهة عن كثب مجاوزة القمة إلى ما يلي قبة السماء ، حيث تصل إلى إدراك الجواهر الفاتنات • وهناك تكدح طويلاً لتحفظ نفسها ؛ لأن الجياد تجمع وتتمرد ولكنها مع ذلك تتأمل المنظر القدسي ما بقيت دورة السماوات • وقد لا تسعد روح أخرى بذلك المنظر إلا لحظات متواترات • وتبذل غيرها مجهودات عبثاً دون أن تحظى بمجاوزة قبة السماء فهو صراع يائس في الزحام الصاخب للعربات التي تحاول الصعود فتنزلق وترتد وتقذف نحو الداخل • فتختلط الدواب ببعضهن ببعض ويطرح بعضهن بعضاً ، وتركض النفوس مدنسة الأطراف مهیضة الجناح • انه وايم الله ، الهبوط العميق إلى أدنى المراتب حيث تنبسط الأرض التي نحيا عليها وما هي ذى النفوس الجرداء تغوص بأجنحتها في اليم أرضي نسمه البدن •

وما هو ذا قانون ادراستيه : بقدر ما تكون رؤية النفوس غير تامة ومعرفتها مختلطة بالرجم والظن يكون هبوطها مسحوبة بأثقال النسيان • ثمة تسع مراتب لهبوط

النفس هى : فيلسوف محب للعلم او للجمال ، ملك عادل أو قائد جيش معنك ، سياسى أو حاكم ، رياضى من رجال الملاعب أو طبيب ، قديس أو كاهن صاحب أسرار ، شاعر أو مقلد آخر ، فنان أو عامل ، سفسطائى أو قائد شعبى ، ثم يأتى الطاغية فى المرتبة الأخيرة ، تلك هى المراحل التسع التى تحياها النفوس هبوطا أو صعودا تبعا لاستحقاقها فى اغترابها عشرة آلاف سنة قبل أن تسترجع أجنحتها وتستأنف تحليلها نحو الرؤى السماوية . ويسترجع الفيلسوف وحده أجنحته فى العشرة الثالثة مادام قد حيا ثلاث مرات متعاقبات حياة الحكمة هذه ، فى تذكر واشتياق للحقائق التى سلف أن تأملها .

خيال خصب وبناء ضخم لفق فيهما أفلاطون بين آراء متباينة : فجامع بين فلك علماء ايطاليا وجولة الأورفيين والفيثاغوريين الصوفية وقولهم فى التناسخ ووصف انبادوقليس للخطيئة والخلاص فى حديثه عن التطهر وعجائب الشواهد التى يستدل منها المریدون على سبل الحق وآيات الصدق وأهل النعيم . ولكن هذه الألوان المتعددة تأخذ فى الاختفاء رويدا رويدا خلف وشاح من التصوف الأفلاطونى ، حيث تكون الصيغة النهائية مصوغة على الدوام فى وضوح وذكاء وترو وتوقد روحى . وهنالك حيث يعشق المریدون المآدب والتراقص المرح فى مروج برزيفون الحضراء أخذت النفوس الأفلاطونية تتأمل فى وضوح الحقيقة الماهيات اللامادية . وسينشأ عن تذكرها فيما يلى محاولة للتحليل والتركيب تخلق التعريفات العلمية ، كما ينشأ عنها الوجد الالهى الذى يسمو بالقلب عن مستوى الأهواء الأرضية الخائبة .

٣ - الرؤيا السعيدة والخلود

تتعرف النفس الفلسفية نفسها بوجه خاص فى ذلك الوجد الالهى . ولما كانت سجيته داخل سياج البدن وتعرف أن ليس لها أن تهشمه فى عنف محافظة على وحدة الرغبة الالهية ، تظل محاصرة بهذه الرقابة الأرضية حتى يلد لأسيادها أن يخلصوها . ولكنها تستحث منذ الآن يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى وتتعبجل ما وسعها ذلك لذة الآلهة هذه ، وتعمل بقدر ما أوتيت من قوة فى افتاء هذا السور المادى والقضاء على ماديته . وما يتفلسف الفيلسوف الا ليموت وتقبض روحه ، فما حياته الا حنين حار للموت المنجى ، فقد علم من ولعه بالتفكير أن مملكته توجد فى مكان آخر وأن الحقائق التى تحياها لا تتعلق بعالم الشهادة هذا . تلك الحقائق التى لا يراها الآن الا بعيدة مشوهة خلال قضبان من حديد ، والتى سيصل الى معاينتها بمجرد تخلصه من بدنه . ذلك هو الدرس الخالد الذى علمه سقراط أصدقائه أثناء انتظاره للساعة التى تخلصه من أغلاله وذلك ما رواه أفلاطون عن « سر الفيلسوف » ووسمه « فيدون » .

وجدت على الدوام بجانب ديانة البلاط والأرستقراطيين التى تنقلها الينا عادة أشعار هوميروس والتى لا ترى أن ثمة حياة أخرى للنفوس الا فى هذه الظلال الخائبة الحائرة الشاكية لدى « هادس » ، نقول وجدت الى جانب هذا فى الديانة الشعبية عبادة خاصة توقف للأموات ولآلهة الأموات . كانت هذه العبادة متأثرة بمخاوف خرافية وهى انما تبجل الأموات أولا وقبل كل شئ لتبعد شرهم عن الأحياء . ولكن

الحياة فى ديانة ديونيسوس ، التى تقرر أن الموت والبعث الالهى ما هما الا رمزان للمريد ، وعلى الأخص فى ديانة الجمعيات السرية الأورفية والفيثاغورية ، أصبحت موضعاً للاهتمام وللطقوس ولتعاليم خاصة بها .

كانت هذه التعاليم فى السواق ، أشبه بالبيانات من المذاهب المحكمة . فالمرید الذى يعرف أنه من ديونيسوس ومن صلب تيتانس « ابن الأرض والسماء المنتثرة فيها النجوم » كانت له بطبيعة الحال امتيازات ضخمة على البشر الآخرين ، كما هو الحال فى كل الجمعيات التى لها صفة سرية الى حد ما . ففى حين أن البشر العاديين يذهبون الى الحياة الثانية دون ارشاد ولا شفاعة ، تراهم يتخبطون فى طغية (ظلمة) المستنقع العمياء ، يتعلم المريدون حينما يستوعبون الأسرار ، خفايا الطريق وكلمات السر والألقاب التى يستعينون بها أمام الملكة برزيفون . وقد تعلق عند الحاجة فى رقبة المتوفى صفيحة من ذهب ، ملفوفة على شكل أسطوانة تحمل فى كتابة دقيقة فى أسطر مقفاة ارشادات عن الطريق والدعوات الصالحات . ولما كان المرید من سلالة الآلهة وكان طاهراً ومن جنس خالص ، علم أنه سيجاور الآلهة وسيشاركهم فى الجلوس على مائدتهم المتوجة بالورد . وكما يذكر أفلاطون فى محاوراة الجمهورية ، سيمضى وقته فى مآدب صاخبة « كما لو كان خير جزاء على الفضيلة لا يمكن الا أن يكون سرا أبدياً » .

أما الصفاء الأخلاقى فلم يلق اليه بال ، كانت المسألة تتعلق بصفاء الجنس وصفاء الطقوس . ويصر أفلاطون على القول بأن ليس ثمة مذهب واضح حتى لدى أكثر هؤلاء

المبشرين تفقها في الحياة المستقبلية ، فقابس وسيمياس اللذان أخذوا عن فيلولاوس الفيثاغوري من مدينة طيبة ، يعترفان بأنهما لم يستخلصا منه أية معلومات محددة . والواقع أنهما يذكران في وضوح أن البدن (سوما) رمس (سيما) ولكن دورة البعث تتكرر الى الأبد ، وبذلك تقلل من شأن فكرة الجزاء الى حد ما . كما أن الروح التي تتصور كرماد تحمله الرياح أو توافق أنغام ، كما يذهب أدق المفسرون لا تصلح كثيرا لأن تغلد .

ماذا عسى أفلاطون أن يفعل ؟ . سينهل من مجموعة الأسرار الايليوزينية أو الأورفية ومن الصور المختلفة للخرافات الشعبية ومن رموز الفيثاغورية ومن طقوسها في التطهر ومن وسائلها في التقشف . وسيأخذ كفايته من كل الاتجاهات سواء من البيانات الكاملة أو من المناحي المشتتة ليستخلص أساطيره عن العالم العلوى ، وسيحول الرموز والطقوس والتعليمات الى أشياء معقولة وإلى مذهب أخلاقي وروحي .

٤ - أساطير الخلود

يطيب لأفلاطون ، في الواقع أن يتخيل العالم العلوى ، وأن يصور لنا السبل المؤدية اليه أو الواردة منه ، والمحاكم المنصوبة والأحكام التي تصدر فيها ، والأصقاع الرائعة أو المروعة التي ستصبح مآلا لمصائرنا المستقبلية .

أما أسطورة جورجياس الختامية ، فلا تخرج عن أن تكون أيضا خرافة قصيرة عليها تعليق مفصل . حدث أيام كرونوس

وفي أرائل حكم زيوس أن قوضى البشر أحياء • فحضر
فلوطون ومراقبو الجزائر السعيدة رافعين إلى زيوس شكواهم
أن قد أرسل إليهم أناس غير لائقين إطلاقا لمثل هذه الإقامة •
فقد كان جمال البدن وألقاب العائلة وأثروات الطائفة
تعمى القضاء عن وضاعة النفوس • فقضى زيوس بنظام
حكيم أصبحت النفوس كلها بمقتضاه تحاكم منذ ذلك الحين
وهي عارية تماما ، فليئن كانت الجثة تحتفظ بكل ما للبدن
الحى من جروح وآثار عميقة ؛ فان النفس كذلك وقد أزيح
عنها غطاؤها تكشف عما فيها من قروح واعوجاج وأورام ،
تلك الآثار التى سببها الظلم على مر الأيام • فان كانت
لا زالت قابلة للشفاء كفرت عن خطاياها فى عذاب وقتى ؛
لأن التعذيب وحده كاف للتطهر • وان لم تكن ، فقد كتب
عليها العذاب الأبدى لتكون تعذرة وعبرة للآخرين •

وتصور لنا محاورة فيدون النفوس بعد مماتها مباشرة
يقود كلا منها شيطانها الى مكان الحشر ثم تسعى فى جماعات
يقودها مرشد فرد لا يتغير أبدا فى مسالك معقدة شاقة تنتهى
الى حيث هادس • وتجمع بعض النفوس اذ تجذبها الى الورا
ذكرى الجسد الذى طالما تدلّته فى حبه فيعانى الجنى الشئ
الكثير حتى يفلح أخيرا فى ايمصالها الى حيث مصيرها
النهائى : الى جحيم أليم أو الى نعيم مقيم • أما الجحيم
فهاوية بعيدة الغور فى أسفل الأرضين تمتد فى جوف
الأرض من جانب الى جانب • أما النعيم المقيم فسطح
الأرض نفسه •

اننا نزيد فى الواقع من ابتئاس أنفسنا عن طريق ضلال
مزر • فنتوهم أنا نسكن سطح الأرض ، فى حين أننا لا نقطع
إلا قشرة ضعيفة انشقت عن هذا السطح • ان الأرض كرة

عظيمة الكبر تسبح فى محيط أثري ويبدو هذا الأثر لمن يعيشون على سطح الأرض سماء فيها شمس حقة تضيء لهم . لنستعض عن ذلك بتصوير بحيرة يعيش على ساحلها نمل وضفادع ، فان مثل هذه البحيرة أو المستنقع تبدو بالنسبة لغيرها بحرا عظيما . وما نحن الا حشرات دنيئة تحيا على هذه الشواطىء تتخذ من الهواء سماء لها وترى فيما تتوهمه من سماء ، صورة خافتة للشمس الحقيقية . ولكن السعداء يسكنون الأرض الحقيقية ، حيث الألوان صافية والذهب والفضة خالصان والأحجار من زمرد وزبرجد ، وحيث تكون الحيوانات والنباتات أكثر تنوعا وأفضل نوعا ، لا تسكن المعابد تماثيل صماء بل آلهة أحياء يعادتهم السعداء ويتأملونهم وجها لوجه .

ويروى لنا الكتاب العاشر من الجمهورية أن ارفمفليانى ابن ارمنيوس الذى كان قد حسب فى عداد الموتى عشرة أيام خلت من معركة ما ، أفاق فى اليوم الثانى عشر حين وضع على المحرق ، فأخذ يذكر ما شاهده .

حينما غادرتة نفسه ، ذهب اثر النفوس الأخرى الى حيث توجد ثغرتان فى السماء مقابلتان لثغرتين مثلهما على الأرض . وقد أخذ القضاة مجلسهم بين هذه الثغرات . وترحل النفوس التى يقضى فى أمرها اما نحو السماء أو الى أسفل الأرض تحمل من قبل (بضم القاف والباء) أو من ذى (بضم الدال والباء) كتابها ، الذى يقضى فيها بالشقاء أو السعادة . وتصعد من الأرض من جهة أخرى نفوس غطاها التراب أو الوحل وتهبط من السماء نفوس أخرى تامة النقاء . ويلتئم جمعها فى المروج حيث يتسقطن الحديث

فيما مر بهن من أحداث ، فتروى بعضهن ما عانت من آلام أو ما رأت من عذاب فى رحلتها خلال ألف عام تحت سطح الأرض ، وتقص بعضهن ما تذوقته من سعادة وما تأملتته من روائع . انهن يجازين على ما قدمت أيديهن من خير أو من شر بأن يضاعف لهن الثواب أو العقاب . وبعد انقضاء هذا الشقاء ، ترغب النفوس الصاعدة من الأرض فى النفوذ الى سطحها فلا تكاد نفوس المجرمين الخطرين و نفوس الطغاة بوجه خاص تدنو من الهواء الخالص ، حتى تهدر الهاوية هديرًا مروعا مخيفا — وسرعان ما يقبل رجال من نار كانوا رابضين على مقربة من المكان فيجذبونهن الى الوراء ويقذفون بهن فى الداخل .

وبعد أن تمضى النفوس سبعة أيام تتسقط الحديث على هذا النحو فى هذه المروج ، توجه نحو عمود النور الذى تشد اليه روابط السماء . حيث تتربع الهات المصير الثلاث : لاخليزيس وكلوتوس وأتروفيوس ، بنات الضرورة . وعلى ركبتى لاخليزيس يجلس كاتم سر ايلوزيس ممسكا بالمصائر ثم يقذف بها فى الهواء فتأخذ كل نفس ما وقع أمامها من مصير ، وهى على يقين من اللحظة التى سيترك لها فيها الخيار وذلك هو اختيار نوع الحياة — برهان قاطع لم تعد له العدة فى الحياة الدنيا بمقارنة الأحوال الانسانية فى دقة بالكشف عن قيمتها الحقيقية . وحين تختار النفوس مصائرهما ترحل وتجتاز سهل النسيان القاحل (ليتيه) وتتوقف قريبا من نهر الغفلة (اميليس) حيث تغط فى نوم عميق . ولكنها تستيقظ فزعة فى منتصف الليل من هزيم الرعد ، وتزلزل الأرض ، وتجرف النفوس فى الحال ، كالشهب الساقطة ، نحو الأماكن التى تتقمص فيها جسدا جديدا .

٥ - البراهين العقلية

ولكن ألا يخرج الخلود عن كونه خرافة أو على الأكثر أمنية عميقة عذبة ؟ . . - يبذل سقراط قصارى جهده فى فيدون ليقيمه على حجج مقنعة .

ألا يفترض هذا التذكر وذلك الاسترجاع للمعرفة السابقة ، التى تستطيع وحدها أن تفسر نزوعنا نحو العلم ونحو امكانية هذا العلم فى نفس الآن ، أن روحنا قد حيت حياة قدسية نقية قبل أن تتقمص البدن والأعضاء الحاسة ؟ - أليس وجود النفس السابق ، له فى هذه الحالة أيضا من اليقين الذى لا يتطرق اليه الشك مثل ما لوجود الجميل والخير والعادل والمساوى والحقائق المعقولة كلها التى تؤيدها استدلالنا اليومية ؟ . . - غير أنا قد تقابل من المجادلين العنيدين أمثال قابس من يقول : « مع التسليم جدلا بأن النفس وجدت قبل مولدنا ، فما الذى يدلنا على أنها لا تموت معنا ؟ » وقد يتأثر الحدث الذى يوجد بيننا بتلك الأوهام التى تغذى القصص الشعبى - فيخشى أن تتشتت النفس كال دخان حين تهب الريح ، عندما تخرج من الجسم الذى يسجنها والذى يلم شعثها . لذلك يجب أن تثبت خلود النفس ببراهين مباشرة .

وأول برهان معروف على بساطة النفس هو الذى يذهب فيه أفلاطون الى « مشابته النفس للحقائق المعقولة » . وكل ما فعله فى هذا البرهان هو أنه سبق ديكارت الى القول ، على طريقتة الخاصة ، بأن جوهر النفس هو التفكير .

وطالما كانت النفس مرتبطة بالجسم وأعضائه ، فانها تظل أسيرة في معترك الأصوات والأضواء والمذات والانفعالات الحادة السريعة التي نسميها الأشياء . ويطغى عليها اضطراب هذه الأشياء فتخبو وتتشتت ولا تهتدى أبدا . ولا تلتئم ولا تعود الى جوهرها الا اذا تعلق بالحقائق المعقولة وبموضوعاتها المجردة اللامادية على الاطلاق والتي لا تخضع للصيرورة أبدا ، وذلك هو التفكير . فالنفس هي اذن تفكير بالذات ، وعاكس صاف لجواهر صافية وهي صورة للمثل ومرآة لها . فالنفس اذن شبيهة بالحقائق المعقولة على قدر الامكان؛ لأن الحقائق المعقولة تكون شفافة تماما أمام التفكير السليم . والتفكير السليم ، على وجه الاطلاق ، ليس الا شفوفا عينه .

وبذلك تكون النفس ، التي تحاول الهروب من البدن بل والتي تعكف داخل الجسم على فكرها لكي تمتلك نفسها قدر المستطاع ، هي من نفس نسق الذهن الخالص وموضوعاته وان كانت لا تطابق الحقائق المعقولة مطابقة تامة ، فانها شديدة القرب منها . فمن اذن يعتقد أن هذه الماهيات القدسية اللامادية البسيطة اللامتغيرة ، قابلة لأن تنحل وتتلاشى ؟ - ففي حين أن الجسم ، مع العلم بأنه قابل للانحلال الى حد كبير يحتفظ بهيئته وشكله بعد الموت لمدة طويلة ، وأن الأجزاء الصلبة من مادته تبقى مددا غير محدودة تقريبا ، فمنذا الذي يقبل التسليم بأن النفس ، ذلك الفكر البسيط اللامادي كما هو حال موضوعاتها ، يمكن أن تتشتت أو تتلاشى بمجرد الموت ؟

وهكذا ، فالنفس متميزة تماما عن الجسم كما يمكن أن تحيا بدونه . ولكن أليست أنغام الناي كذلك متميزة عنه ؟ . . .
 لتكن غير مرئية قدسية لا جسمية ولكنها مع ذلك ليست الا الامتثار الواجب للأوتار الجسدية ، فهي تتبلاشى اذن بمجرد تقطع هذه الأوتار . ويرد سقراط على هذا الاعتراض مذكرا ببراهينه السابقة فيقول : ان توافق الأنغام لا يوجد وجودا سابقا على وجود الناي، وقد رأينا، عن طريق التذكر، أن النفس تسبق الجسم في الوجود . ولنلاحظ ، بهذه المناسبة ، أن العقلية القديمة كانت تنظر الى هذا السبق في الوجود باعتباره بديلا عن الخلق، بل اعتبرته البديل الوحيد الذى يمكن أن يقوم مقام الخلق . بيد أن هناك أسبابا أخرى تعترض القول بأن النفس تقتصر على كونها مجرد انسجام .

فالانسجام والتوافق انما هو حاصل أشياء أخرى :
 اذ يعتمد فى كل لحظة وبكل معانيه على التوتر والارتخاء والذبذبات . فلا يمكنه اذن أن يقاوم هذه الأشياء على أى نحو من الأنحاء بل انه ضعيف التدبير لها . ولكن النفس تدبر وتسيطر على حركات الجسم ، وتقاوم شهواتها وغضبها ومخاوفها . فهي حقيقة « فكر مدبر » . وأخيرا ، فانها لا تحل البدن الا وتهبه الحياة . فاذا ما غاصت فى سيال الصيرورة بدت غريبة عنه بطبيعتها . اذ لما كانت من فصيلة الماهيات اللامتغيرة كانت ماهيتها ترجع الى ماهية الحياة تنسها وتحملها معها . ومن الممكن أن يصل الموت الى ما يحيط بها ، أعنى الى الجسم الذى وهبته قوتها الحيوية الى حد ما ، ولكن النفس وهي نواة ماهية الحياة لا تذوق الموت .

٦ - التجلي الروحي

لعل تشابه النفس بالحقائق المعقولة يكون الدليل القوي على خلودها ، بل نعلننا نصيب الحقيقة ان قلنا انه الدليل الكافي والوحيد على خلودها . وهذا التشابه أيضا هو الذي يزيل ما يعترى الادعاءات والاتجاهات الصوفية السابقة من اضطراب كبير أو قليل ويطيبعها بطابع روحي .

لقد سخر هرقليطس من أتباع باخوس ومن أصحاب الطرائق الآخرين الذين عاشوا في عصره ، كما سخر من تطهرهم من شوائب المادة . ويشكو اغلوقون ، في الكتاب الثاني من الجمهورية ، من الشكوى من الطرائق والمذاهب التي تشوه فكرة العدالة والتي تسلب الديانة كل نزعة أخلاقية وتحيلها الى تجارة وسحر . ولم يكن أقل ازدراء لهؤلاء القسيسين الجائلين الذين يتنقلون من باب الى آخر يبيعون صكوك الغفران او الرقى السحرية حسب الحاجة . والذين يدعون تخليص الأموات والأحياء من خطاياهم بمجرد هذه الطلاسم . ولقد بذل أفلاطون جهدا محسوسا في تجديد محتويات هذا التطهير الذي سارت وراءه الأسرار والشييع في لهفة شديدة والذي شوهته هذه تشويها شديدا في نفس الآن . وكان هذا التطهير لدى أفلاطون تعذيبا للتفكير عن الخطايا متقبلا في ارتياح . وعودا اراديا الى العدالة وفرارا من العالم وشوقا الى الموت وتشبها بالآلهة . لقد قيل في كثير من الأحيان ان فلسفته تصوف في بعض نواحيها ، والأجدى أن يقال ، ما أراده هو وما ذكره بنفسه أن التصوف قد صار فلسفة في مذهبه .

ربطت فكرة العدالة هذا التصوف ربطا قويا بتجارب أفلاطون المضيئة وبما كان يشغله من مسائل سياسية • فأشد المجرمين خطرا وأكثر الناس استحقاقا للتعذيب هم الحاكمون بأمرهم والطفاة ، كما يرد ذلك على الدوام فى جورجياس وفيدون والجمهورية وكما يرد بعد ذلك فى تيمائوس • وقد كان القول بالواحد الضرورى هو النتيجة التى لم تتغير تقريبا والتى انتهت إليها كل هذه التصويرات للعالم الآخر، فسقراط يبحث خاليقليس على انتظار الحكم الوحيد ذى القيمة ، ويعلم أغلوقون اهمال جميع العلوم الأخرى من أجل تحصيل ذلك العلم الذى يهيؤنا لأن نحسن اختيار ما ينتظرنا من مصير • وسواء أقضينا الحياة فوق قمم السلطان الخطرة أم قضيناها فى الظلام ، فإن الحياة الأرضية ليس لها اذن من اعتبار الا أن تنير لنا الحياة المستقبلية - فهى برهان وتجربة فى وقت واحد •

تجربة للموت ، ويقول سقراط : « التفلسف هو التهيؤ للموت » فالجسم فى الواقع ليس الا ظلمة كثيفة تعجب عنا الحقائق المعقولة • وثمة أساس عقلى للأقاصيص المفرقة فى الخيال التى تتناول سقوط النفوس ، وهو أننا نحن الذين نربط أنفسنا بالبدن وهذا هو التعلق الشديد برغبات البدن وملأذه والخضوع لأوامره • والواقع أن النفوس التى يتخيلها الشعبيون هائمة متوجعة حول المقابر ، هى التى تعشقت البدن وظلت متعلقة به تعلقا شديدا ، وما التجسد الا عقوبة ونتيجة طبيعية للشهوات الحسية •

ان مجاهدة الجسم والعزوف عن الدنيا ليسا قعودا فى توان عن الجهد الأخلاقى • « فالفرار من العالم » كما يخبرنا

سقراط في صيغة ابتدائية هو «التشبه قدر المستطاع بالاله»
ولكننا نجد لدى مريدي الأسرار المختلفة طرائق متعددة للتشبه
بآلهتهم - فان لم يصلوا في كل الأحيان الى حد الشذوذ
الأخلاقي الذي يسمهم به آباء الكنيسة فانهم يستمسكون عادة
بأباطيل ساذجة شنيعة . « أما التشبه بالآلهة » ، كما يعرفه
سقراط فيما بعد ذلك بقليل ، « فهو أن تصير عادلا تقيا أمام
نفسك » وتوجد هذه التعريفات في محاوره تيتاوس ، التي
ألفت اما قبل رحلة صقلية أو بعدها بقليل . ومع ذلك، فانا
نرى أن جزءا كبيرا من محاوره فيدون وبعض صفحات
الجمهورية ليست الا شروحا عليها . والمحاوره الأخيرة وهي
محاوره القوانين تعيد ذكر هذه التعريفات في وضوح .
وتبدل فيدون من دلالة الكلمة المشهورة « كثيرون أولئك
الذين يحملون تيرس » عصابة باخوس « قليلون هم أتباع
باخوس » فتذكر لنا المحاوره أن أتباع باخوس هم الفلاسفة .
وهم دون غيرهم الذين يزاولون التطهر بمعناه الصحيح . ان
نفسهم تدبر عن كل رغبة أو فكرة أرضية ، ولا يغذيها
الا مرعى قدسي هو الحقيقة المعقولة ، فان حضر الموت «رحلت
توا الى قرينها وشبيهها ، وما دامت قد تقومت بجوهر قدسي،
فكيف يمكن أن نخشى الانحلال والهلاك ؟ » .

العلم الانساني

١ - الاحساس والفكر

يقع التذكر بين الرؤيين السعيدتين ، ويبعثه الاحساس والحب الذى يرقى بالتدريج حتى يصل الى أعلى درجات القداسة .

ان ثمة ميلا وعجزا فى آن واحد فى الموضوعات التى توقفنا عليها التجربة اليومية . فقطعتان من الخشب تبدوان متساويتين لأول وهلة . ولعلهما تكونان كذلك بالنسبة الى قياس غير محكم ؛ ولكنهما ليستا كذلك على الاطلاق فى الحقيقة العلمية . ويقول أفلاطون : انهما ترغبان فى ذلك وتتوقان اليه ، ولكنهما لن تدركاه ، ففكرة المساواة الصحيحة التى يوحى بها الينا مجهودهما تستخدم فى قياس عجزهما كذلك . ويعارض بروتاجوراس الهندسيين فى وجود مماس فى الطبيعة يماس الدائرة فى نقطة واحدة بالذات . وانه لعل حق ، اذ لا توجد فى الطبيعة دائرة ولا توجد كذلك زاوية قائمة تماما .

وان أفلاطون نفسه ليسخر فى رفق من لغة الرياضيين الذين يتمسكون بها رغما عنهم . فهم يتحدثون عن التربيع

والامتداد أو عن القسمة والرفع والخفض ، كما لو كان استدلالهم يعتمد حقيقة على الشكل الذى يرسمونه تأييدا لهذا الاستدلال . ومع ذلك ؛ فهم يعلمون علم اليقين أن هذا الشكل يكون ناقصا وباطلا على الدوام . وقد أوقفهم التجربة على شيء هو « محاولة » لأن يكون دائرة . فهم يرسمون بدورهم أو بالأحرى يؤلفون ، باستخدام كل دقة فى الميكانيكا العلمية ، شيئا يصح ويقضى فى حدود المستطاع على ذلك التقريب الذى يوجد فى الطبيعة . ولكنهم لا يقولون ولا يعتقدون مطلقا أن هذا الشيء الملاحظ ، أو المرسوم ، أو المؤلف هو دائرة كاملة من جميع الوجوه وأن له كل خصائص الدائرة . فليس للدائرة وجود الا فى تفكيرهم باعتبارها شيئا متطلبا . ويقول أفلاطون انها وجدت فى تفكيرهم على الدوام ولكن على هيئة فكرة كامنة . فالاحساس الذى يوحى بفكرة ما لا يخلقها انما يوقظها فى النفس فقط . وهذا الايقاظ هو التذكر .

حفظ هذا الايقاظ ، والشعور بما يتضمنه من نداء ، والاذعان له بالتدرج من المعنى الموحى الى الماهية السرمدية الكاملة الذى هو نسخة منها ، ذلك ما يفعله « الجدل » . ويصور الكتاب السابع من الجمهورية هذا التصاعد المنهجي من المحسوس الى المعقول أعنى الى الفكرة أو المثال .

٢ - الكهف

أخذ أفلاطون يستعيد ذكريات الصبا . فكان مسرح الصور المتحركة من أكثر المناظر فتنة له فى هذا العهد ،

حيث تضطرب وتثرثر لعب لطيفة على حاجز يخفى وراءه من يمارس تحريكها ، فيأخذ الطفل الذى لا يرى العامل أو الخيوط ، فى متابعة هذا الخداع فى شوق زائد . كانت هذه اللعب ورغاؤها وتشاحتها وانفعالها فى شدة أولين والحوادث القريبة التى تتخلل حياتها القصيرة بالنسبة الى أفلاطون خلال ساعة أو ساعتين هى العالم الواقعى . لنتخيل أن نارا أوقدت خلف العامل وخلف اللعب وطلب من النظارة أن يجعلوا ظهورهم الى الحاجز ثم أسدل ستار يشخصون اليه . بذلك نحصل على صور متحركة فى شكل ظلال تسقط على الستار . هذا ، وقد استخرج أفلاطون من هذه المناظر المتواضعة رمزا له دلالة عظيمة .

لنتمثل أناسا مسجونين فى كهف لا يسعهم الا النظر الى داخل هذا السجن ؛ لأن رقابهم وسوقهم قد كبلت بسلاسل ثقيلة ، وقد أداروا ظهورهم للضوء الذى ينسل خالصا الى الداخل عن طريق الجزء الأعلى من فتحة متسعة يقوم من خلفها جدار يرتفع حتى يحجب منتصف الفتحة » ويشبه هذا الجدار الحواجز التى يضعها عمال الصور المتحركة بينهم وبين النظارة » ، ويوجد طريق من خلف هذا الجدار يصعد الى أعلى ، حيث يذهب اناس ويجيئون يتحادثون فيما بينهم أغلب الأحيان ويحملون على أكتافهم تماثيل صغيرة بحيث تبرز التماثيل وحدها من فوق الجدار . وهناك وعلى بعد قليل خلف الطريق أوقدت نار أضاعت التماثيل وألقت بظلالها الى قاع الكهف . فلن يبصر المساجين بطبيعة الحال الا هذه الأشباح ولن يترامى الى أسماعهم الا أصدااء هذه الأصوات . ولما كانوا قد أوثقوا بالسلاسل منذ طفولتهم ولم يروا قط غير هذا المنظر، فانهم يعتقدون أن هذه الأشباح هى

التي تتحدث وهي التي تحيا ، هي بالنسبة اليهم العالم وحقائقه ووعوده وملاذه ومتاعبه .

فاذا أطلقنا أحد هؤلاء المساجين وأرغمناه على الوقوف وعلى أن يدير رأسه وأن يتطلع الى الضوء المنبعث من النار أو أن يشاهد التماثيل التي تمر أعلى الجدار . حينئذ وقد انبهرت عيناه فسوف يعتقد أنه لا يرى الا أشباحا تتراقص ويود لو عاد الى رؤاه داخل الكهف ليحصل على الحقائق من جديد . لنتزعه من الكهف الذي يعيش فيه ، ولنجذبه على الصراط حتى يصل الى ضوء النهار التام ، ولندفعه الى أن يشخص بعينه نحو الشمس . سيتحسر ويزأر من الغيظ ، لقد آذته الصدمة ايذاء عميقا ، فلم يتمكن من أن يميز شيئا على الاطلاق مما نسميه موجودات وكائنات .

انه في حاجة الى تعلم تدريجي لكي يستعيد النظر الى الحقيقة والاحساس بها . فنبدا بمواجهته بأشباح الاناس وأشباح الأشياء الأخرى ثم نواجهه بصورها منعكسة على سطح الماء أو على مرايا ثم نواجهه أخيرا بالكائنات أنفسها . ثم نجعله يآلف في رفق ضوء القمر ولألاء النجوم ، ولن نجعله يشخص الى الشمس عينها ، هنالك حيث توجد وبالكيف الذي عليه توجد . سيدرك آنئذ أن الشمس تحدث الفصول والأعوام ، وأنها تهيمن على كل شيء في عالم الشهادة ، بل وأنها العلة الأخيرة لتلك المناظر التي كانت تتزاحم بداخل الكهف .

أعجب بحكمه الآن على قيمة هذه الأشباح التي تسكن باطن الأرض — كانت فيما مضى حقائق لها قيمتها . كان

اقتناصها فى سرعة أثناء عبورها وتذكر زمانها ومكانها والنظام الذى اعتادت أن تظهر عليه ومن ثم القدرة على التنبؤ بالوقت الذى ستظهر فيه من جديد - كان هذا هو العلم . فما أكثر بطلان هذا العلم وبطلان كل مفخرة تصدر عنه ! لينزل مرة أخرى الى الكهف وليعد الى مقامه من الأصفاد ثم ليتطلع . سوف يعجز أول الأمر عن تمييز شيء ما فى هذه الظلمات . ولكنه سيتعرف عليها ثانياً بمرور الزمن ، وسيعرف هذه المرة أنها أشباح . أية سخرية وأية ضحكات عالية تلك التى يستقبله بها العبيد من رفاقه ان حاول أن يشرح لهم حالهم ! ألم يفقد بصره فى الخارج ؟ . . . ليبتعد عن كل محاولة من شأنها أن ترجعهم الى الصواب أو تخلصهم من الظلمة أو تعيدهم الى النور والى الحقيقة ، فقد يمسكون به ان تمكنوا ويزهقوا روحه .

لنعد من التصوير الى الواقع . فالكهف الذى فى باطن الأرض هو عالمنا المحسوس ، والنار التى تلقى بالأشباح هى الشمس التى تضيء لنا ، والصعود الى الخارج هو ترقى النفس نحو العالم المعقول حيث تضيء الشمس الحقيقية ، مثال الخير . ولن يمكننا تحمل لمعانها قبل أن ندعم النظر العقلى بدراسة منهجية ، فان وصلت أخيراً الى تأملها والى تحديد صفحتها المتوهجة بعد لآى حينئذ نقدر أنها علة كل خير وكل جمال . لا ينبعث الضوء وأشعته القوية فى عالم الشهادة هذا الا عنها . وانها لتخلق الحقيقة والعقل الذى يتأملها معا فى العالم المعقول . ولن يرجى نفع من شيء فى الحياة العامة أو الخاصة ، ولن يكون أمر ما سديدا اذا لم يحصل تحت ضوئها .

فليس ثمة من داع اذن للدهشة بعد أن ترى جموعاً الذين تأملوها مرة قد تملكتم الحيرة والذهول . فثم يتوقون اليها وان تكاثرت عليهم المشاغل فلا يشاركون في هذا العالم الا كرها وازورارا . رأيت اليهم كيف يثيرون الهزو والشفقة في نفس الآن ، حينما يضطرون أمام المحكمة الى مهاجمة تلك الأشباح التي يسميها الناس أشياء ووقائع ! ولكن لنذكر على الدوام ان ثمة صنفين من العميان : أولئك الذين عاشوا في الظلام وفي الليل فيعيشو الضوء ابصارهم ، وأولئك الذين ألفوا نور الحقيقة فيتحسسون طريفهم في الظلام .

٣ - مهمة العلوم الرياضية

يحتفظ الناس عادة بفكرة خاطئة تماما عن التعليم . فيتوهمون أنه عبارة عن ادراج علم تام التجهز في النفس الجاهلة كما لو أمكن أن توهب الأعين الكلية الابصار . ولكن التعليم لا يخلق آلة التعلم ، وكل ما يفعله هو تخليصها من الشوائب وتوجيهها . على أن النظر الروحي لا يمكن ان يوجه دون توجيه كل قوى النفس ، اذ لا بد وأن تتجه النفس بكليتها نحو الحقيقة .

ولكن النفس تدرك في الأشياء تجانسا مضطربا متقطعا وتوافقا جزئيا يفزعها ما فيه من شذوذ . ولعل الاستجابة لتلك الدعوات القدسية وانتظام عقدها في أنشودة تأخذ أبياتها في الاتساع رويدا رويدا حتى تبلغ بنا أقصى حد من التوافق السرمدى ، تكون في العلوم الرياضية . والواقع ،

ان أفلاطون يعتبرها التمهيد الذى لا محيص عنه فى دراسة الحقائق المعقولة .

ليس ثمة من شىء لا تدلنا الحواس على أنه كبير وصغير، واحد ومتعدد ، بسيط ومنقسم الى ما لا نهاية ، تبعا للأحوال والمناسبات . ولكن مثل هذه التناقضات تنبه الذهن ، فيرتفع حينئذ الى تعريف يتجاوزها ويسمو عليها فيتصور الوحدة المجردة وسلسلة الأعداد ، وهكذا تتفتح أمامه المشاكل الحسابية التى لا تنتهى . ويتصور العظم المجرد فضلا عن الخطوط والسطوح المنظورة ويتخيل التأليفات الهندسية المثالية . كانت هذه العلوم قد تقدمت هناك تقدما كبيرا فى اللحظة التى أسس فيها أفلاطون الأكاديمية ، ولا يمكن أن نشك فى أنه حينما عاد من زيارة ارخيتاس لم يكن قد مال بعد الى أن يجعل للعلوم الرياضية جزءا مهما من منهج الدراسة . هذا ، الى أن « مدرسته » كانت تحدوها روح حرية الفكر . وكل ما كان يدرسه أفلاطون هو ارشاد وتوجيه عام . ويذكر لنا بنفسه أنه لكى نعمل على تقدم أعمال المتخصصين وعلى التوفيق بينها ، لا بد من وجود ملاحظة شاملة غير متحاملة ونظرة تعرف ادراك الأجزاء فى مجموعها، أى عينا اجمالية .

كانت لأفلاطون هذه العين الاجمالية وذلك الحب الجامع، فشكا مر الشكوى من قصور الدول عن تشجيع أبحاث العلماء وتوجيهها . فما أكبر التقدم الذى يستطيع الانسان الظفر به بوساطة تلك المجهودات المتسقة على هذا النحو ؛ لأن هذه الدراسات مهما يكن من أمر احتقارها وعرقلتها ، فانها مع ذلك تأسر أصحاب القلوب ، ولطالما تقدم بها هؤلاء ! ألم

يكن يوجد علم دقيق حتى بات سقراط في المحاورات يشكو من عدم تأليفه بعد ؟ وماذا يكون هذا العلم على وجه الدقة ، في اللحظة التي حرر فيها أفلاطون الكتاب السابع من الجمهورية ؟ . . كان قد فرغ في تلك اللحظة من اكتشاف هذا العلم « أستاذ » شاب من أساتذة الأكاديمية هو تيتاوس ، أفضل تلاميذ تيودوروس من سرينيا - سار تيتاوس باكتشاف أستاذه القديم فيما يختص بالكميات اللامتوالية شوطا بعيدا في سبيل التقدم ، وتمكن من اعادة الحلقة المفقودة بين الهندسة أو علم السطوح وبين الفلك أو علم الأجرام المتحركة وهذه الرابطة هي الاستريومتري أو علم الحجم .

فاذا أضفنا الى هذه العلوم الأربعة ، الحساب والهندسة وعلم الحجم والفلك والموسيقى المنتظمة أو علم التوافق ، حصلنا على سلسلة من التعاليم العلمية كما كانت تدرس في الأكاديمية . وقد رغب أفلاطون في شوق في أن ينهض بالعلوم الرياضية . ونعلم علم اليقين أنه ساعد بوجه أخص في وضع المسائل وفي اكتشاف المناهج العلمية . وقد تخرج في هذه الجامعة الأولى بعد تيتاوس المخترعون أو أصحاب العلوم الدارجة أمثال : ليون وأيدوكس ومنيخم وغيرهم كثيرون ، وسبق ليون ، اقليدس الشهير ، في تحرير رسالة « العناصر » بل ونجد في رسائل اقليدس نفسها أن الكتاب الخامس من تأليف ايدوكس والعاشر من تأليف تيتاوس . وظل أثر أفلاطون ملموسا حتى عهد ازدهار الرياضيين الاسكندريين في القرن الثالث للميلاد .

أما الرياضيات ، فلا تؤدي بنا رغم هذا الا الى عتبة المعقول . وان كان موضوعها هو الماهيات اللامادية ، الا أنها

مضطرة على الدوام الى تأييد موضوعها بأشكال محسوسة .
وهي تبدأ من مبادئ تسميها تعاريف أو بديهيات أو
مسلمات؛ ولكنها فى حكم أفلاطون تسلم فى الواقع بكل شىء ؛
لأنها لا تتمهل حتى تستخرجها من مبادئ أشمل وأعم .
وتتدرج « العلوم الرياضية » عن طريق هذه الفروض
الابتدائية من مقدمة الى ما يلزم عنها حتى تنتهى الى نتائج
تتزايد فى التعقيد .

وبدلاً من أن يتوقف الفيلسوف عند هذه الدرجة
الوسطى يتخذ منها معيناً يتأدى به الى مراحل أخرى، فيرقى من
هذه المبادئ التى تسلم بها الرياضيات فى يسر ، الى الماهيات
العقلية الخالصة عن طريق الفكر المحض ودون استخدام أى
شكل من الأشكال . وأخيراً يتأدى درجة درجة الى المبدأ الذى
صدرت عنه والذى هو مصدر لنفسه : أعنى مثال الخير .
وهكذا ، يتأمل شمس كون المعقولات كما تأمل السجين
المتخلص من الكهف شمس الكون . فيدرك أن مثال الخير
هو مصدر النور والوجود معاً لكل الحقائق فى هذا العالم .
ولا تصدر عن هذه النار السامية العلوم بأجمعها فحسب، بل
تصدر عنها كذلك كل الماهيات الروحية ، ولما كانت هذه النار
هى الحاصل الضوئى لكل حقيقة فهى اذن « تفوق كل حقيقة
أخرى وكل نور آخر قدرة وفضلاً » .

٤ - الحب الفلسفى

ان الذى يعين النفس على هذا التصاعد الطويل هو
ما يطلق عليه المحدثون اسم الروح العلمية أحياناً واسم الروح

الصوفية فى أحيان أخرى : شيئان بذلوا قصارى جهدهم فى التمييز بينهما وفى مقابلة الواحد منهما بالآخر ووجد بينهما أفلاطون تحت اسم جذاب هو « الحب » .

قدم الحب الأفلاطونى مبحثا سهلا غير أنه كان متنوعا أيضا ، للقصاصين الذين يستغلون ما فى باطن التاريخ العام من ابهام . ومما يؤخذ عليه النقد الدقيق فى أيامنا هذه « ذلك العشق الحوشى الأحمق ، الذى لا يزال البعض راغبين فى نسبته الى نابغة الشعر فى الحب الفلسفى » . على أن تصريحات أفلاطون السديدة قد قضت سلفا على هذه الادعاءات فى مواطن متعددة من محاوراته . فشخصية سقراط فى هذه المحاورات تظهر أمام الشباب بمظهر من يجد فى طلب الحب ولكن الجمال الذى يريد أن يعرفه وأن يعرفه للآخرين هو جمال النفوس . وليبرهن أفلاطون على ذلك أمام عالم منحل ، وصل الى حد أن اتخذ من القبيادس وهو أعظم مثل للانحلال دليلا قاطعا على صدق قوله . كان القبيادس ثملا الى الحد الذى سمح له بأن ينكث كل عهد وكان بارعا فى غيائه الى الحد الذى سمح له أن يصور لنا وراء مظهر « يلين قلب سقراط الحار الصريح ، قلب سقراط الحقيقى » . وتستنكر محاورة الجمهورية بنفس الصراحة التى تستنكر بها محاورة القوانين ، ذلك الحب الشاذ فضلا عن أن أكثر صفحات فدرس حماسا لا تفتأ تذكر الصداقة القلبية والصداقة الروحية . فلتن كان الجانب الفلسفى لم يطغ على الجانب التشريعى فى أفلاطون ، فان الجانب الشعرى لم يطغ على الجانب الفلسفى فيه ، نعم ان أجنحة ملكة شعره قد مست قدارة العصر مسا رفيقا غير أنها لم تتلوث بها .

ثمة جدل للجمال كذلك الذى يخص الخير • دعى
سقراط وارسستوفان وبوزانياس وسراميس وفدرس
ومرهينوس واريكسيماكس الطبيب فى ليلة من ليالى عام
٤١٦ ق.م ، لتناول العشاء لدى الشاعر اجاتون ، احتفالا
بفوزه فى مسابقة التراجيدى • وقد تأخر سقراط ، الذى كان
قد توقف فى الطريق غارقا فى أفكاره ، وكانت المأدبة قد
بدأت منذ وقت طويل حينما حضر سقراط • ثم انتهى العشاء
ورتلت الأناشيد فى تمجيد الآلهة وبدأت المأدبة بمعناها
الصحيح • ولم يكن لهؤلاء المفكرين شأن بلاعبات الناي •
فطردن ثم طلب الى كل مدعو أن يؤدى جزيته اشادة بالحب •
فكان هذا بالنسبة الى أفلاطون ، وهو سيد المقلدين ، ظرفا
مناسبا لأن يكتب قطعة رائعة « على طريقة كل مؤلف » فكل
مقال كان تقليدا لأظهر مميزاتهم • أما تقليد ارستوفان الذى
حرف الكونيات القديمة فى قصصه عن نشأة الأجناس ، فكان
بوجه خاص قطعة بلغت أعلى درجات السخرية صيغت فى نشر
اتيكى بسيط عذب • ثم يأتى دور سقراط ، فى محاوره
قصيرة مع اجاتون ، حيث يبدأ بتصحيح المديح المفرط الذى
كاله الخطباء الأولون للحب •

لن يكون الحب شيئا جميلا ولن يكون شيئا مثيرا مادام
جوهره هو النزوع • وهذا النزوع الصرف ليشعر بالعوز
كما يشعر بالخلو • ويختلف الحب عن أن يكون الها عظيما
بل لا يصل الى حد أن يكون مجرد اله • فماذا عسى أن يكون
اذن ؟ • • ان فى مقدور سقراط أن يجيب على هذا السؤال ؛
لأنه تتلمذ أخيرا على احدى كاهنات مانتينييه هى الحكيمه
ديوتمي • ليس الحب شيئا خالدا أو شيئا فانيا ؛ انما هو جنى
متوسط المكانة بين الآلهة والانسان • هو ابن لبوروس ملك

الشراء وبينيا ملكة العوز . ورث مظهر المبتئس وحياة
البائس عن أمه وأخذ عن أبيه الجرأة المتسلطة . ليس الحب
علما ولا جاهلا بل هو مجرد باحث عن العلم : هو فيلسوف .
هو القلق التام والرغبة من كل قلب انساني نحو الخير
الأسمي . فالكائن الفاني الذي فينا يريد أن يحصل على الخير
أبد الأبدية . فهو يعلم بالخلود ، ولكنه لن يتمكن من أن
يصل اليه في هذا العالم الدنيء اللهم الا أن يستعيض عنه
بشيء آخر ذلك بأن ينسل ذرية من لحمه أو من روحه مستعينا
بالحب والجمال .

أعجب سقراط في شدة بأحاديث ديوتمي هذه ، ولكنها
قالت : « ليست هذه ، أي سقراط ، الا أمرار الحب الأولى
وستجد فيها ، ان شاء الله ، المدخل في يسر . اذ لا تزيد عن
أن تكون دهليزا ، أما عن محراب المريدين فلست موقنة بعد
ان كان في مقدورك أن تنفذ اليه ، واني محاولة على هذا
أن ألق معك ذلك الباب » .

ثم أخذت ديوتمي تلقن سقراط المراتب المختلفة لهذا
المطلب السامي . فأول رتبة من مراتبه هي حب جسم جميل ،
وهو حب ذهب صرف هنا كما هي الحال في الجمهورية ، لأنه
« يولد أفكارا جميلة » من الكائن الذي اختاره . الا أن الحب
لا يزال في هذه المرتبة مكبوتا محدودا . فيدرك حينما يعظم
أن جمال الأجسام المتنوع ليس الا صورة لجمال واحد بالذات .
فيحب كل شيء ويتخلص من عبودية الواحد الفرد الذي يعوق
نهوضه . ولكن شتان بين هذا الجمال الجسمي وبين جمال
الروح ! سيصل العاشق الحقيقي خلال مقامات بدائية الى
تأمل روح جميلة والفناء فيها ونثر الكلم الطيب تمجيدها لها
ثم يرتقي من حب النفوس الى حب الأعمال وحب القوانين .

ثم يقابل ما هو أعلى من الحياة العملية نفسها ألا وهو العلوم .
وبارتقائه من واحدة الى أخرى ينسى الاسترقاق الذى قصره
على جسم واحد أو نفس واحدة أو عمل واحد . ومن تلك
القمة التى وصل اليها عن طريق هذا التصاعد يرسل ببصره
الى محيط الجمال بأجمعه . ويبقى فى هذا التأمل مدة
طويلة ، يتغذى منه « لينشئ فلسفة متسعة الأفق فى أفكارها
وكلماتها » وهكذا تقوى نظرتة ، بعد أن دعمت على هذا
النحو ، على تحمل ومضة الكشف الأخير .

أما ما يدركه فى هذا التنوير الفجائى ، فهو الجمال
الواحد الأسمى . سرمدى لم يحدث ولن يفنى لا يقبل التعبر
ولا الذبول . لا تغير الهيئة التى يبدو عليها ولا اللحظة التى
يظهر فيها من جماله . ولا يتشكل تبعا لعمر أو لمزاج الذات
التي تتأمله . ليس وجها صبوحا ولا أيادى رخصة وليس كلما
ولا علما . ليس جمال شيء ما أو جمال كائن حي وليس
جمال الأرض أو جمال السماء . ليس الا جمال نفسه ، هو
جمال فى ذاته موجود على الدوام متشابه أبدا . ليست أنواع
الجمال الأخرى بالنظر اليه الا ومضات عابرة لا يضيف
ظهورها أو خبوها شيئا الى بهائه السرمدى ولا ينتقص منه
شيئا ولا يغير فيه شيئا . جمال بسيط صاف خال من
الشوائب ليس فيه شيء جسدى أو انسانى أو شيء يفنى
عينى الجسم أو يرغب فى لغو تلك الشهوات الفانية ، جمال
الهى يرتشف من يتأمله من الفضيلة الحققة لا من شبح
الفضيلة . فيصبح خيلا لئلا وينفذ الى الخلود رغم
كونه فانيا .

٥ - تعقب الحقيقة

ليس الجمال والخير سوى مظهرين من مظاهر الوجود كالحق والعدل وكالواحد والمتغير، رغم المكانة العالية التي تضعهما فيها محاورة الجمهورية ومحاورة المأدبة ومحاورة فدرس . لا يتوانى أفلاطون في أن يذكر لنا أن موضوعات الرغبة الانسانية الأبدية هذه ليست هي الكيفيات العابرة للأشياء التي تحدث وتزول ، كما أنها ليست التجريدات التي تقوم بها نفوسنا أو التأليفات التي تكونها ولكنها حقيقة عميقة ، واحدة بالذات ، باقية على الدوام ؛ هي كمال تام متحقق . أما الحد الأقصى للتصاعد الأفلاطوني فهو الوجود أو الاله . ولم يكن تفكير أفلاطون في وقت ما اجتماعيا خالصا أو علميا بحتا أو دينيا صرفا . فنفس المثال، الواقعي والعالي في وقت واحد، يتخذ معيارا للحياة الفردية ونموذجا للمدينة المثلى وموضوعا للمعرفة وللحب . والأفلاطونية في جميع مناحيها وان بدت منطقية تماما ، ليست سوى حب ورغبة وشوق متصل نحو الحقيقة الكلية .

تلك الحقيقة الكلية ، الهية قصية البعد ولكنها مبتغاة الى غير نهاية ولا يألو المرء جهدا في الاقتراب منها . وكذلك كان تفكير أفلاطون ملتهبا منهجيا في آن واحد .

لم يكتف هذا التفكير باستعارة المشاهدات والوقائع من الأطباء ، بل أخذ عنهم بوجه خاص روح الاحاطة والتأني . وقلد طرائقهم وتستر خلف اسمهم وأمثلتهم لتأييد مناهجه النقدية الخاصة . ويستعين سقراط في محاورة فدرس

بهيوقراط ، أستاذ مدرسة كوس من أجل تبين أهمية التحليل والتركيب . انه يتعشق هذه المناهج . فهو يشير قبل ديكارت الى أن السر الأعظم لكل بحث هو تقسيم الموضوع المركب الى عناصره البسيطة وأن نتأذى بالتدرج من أبسط المسائل الى أكثرها تعقدا . ولم يكن أقل تعشقا للتصنيفات على النحو الذي اتبعته علوم الطبيعة . وثمة محاورتان من محاورات المجموعة المتأخرة هما السوفسطائي والسياسي . مملوءتان بهذه التصنيفات . كان الزوار يترددون من حين الى آخر على الأكاديمية . والممثلون الهزليون يعرضون لنا في أحد أيام عيد الباناتينية التلاميذ ، وهم منهمكون في مناقشة خطيرة كان موضوعها تحديد وتصنيف شيء كان يتأمله الكل بشغف : وهذا الشيء هو ليمونة ! والى جوار أفلاطون كان طبيب من صقلية يستمع وينقد .

لا يقنع هذا التفكير المدقق بأن يرجع على نفسه في كل لحظة ليراقب نفسه وليحقق منهجه وليصحح من خطئه . فعلى الرغم من وثوقه من مواقفه أو بالأحرى من مطالبه الأساسية، كان يتقبل الاعتراضات أيا كان مصدرها بل كان يتخيلها بنفسه حين تدعو الحاجة . ويعرض أفلاطون في محاورته بارمينيدس ، الصعوبات التي تثيرها نظريته في الحقائق المعقولة أعني الصور الخالصة أو المثل . ويذكر ذلك في صورة من عدم التحيز وبدرجة من الوضوح يبدو معها أن نقد أرسطو لم يأت بجديد في هذا الباب .

العلم الاجمالي لدى أفلاطون مثل أعلى . والبحث العلمي في رأيه هو عمل لا نهائي فكل اكتشاف يضع اشكالا جديدة . وكان ايمانه بإمكانية العلم ايمانا مطلقا . اذ يصرح

فى معاورة مينون بأن الشك من عمل النفوس الكسولة فضلا
عن أن احدى الميزات العظيمة لنظريته فى التذكر هى أنها
تخلق الباحثين - ولما كان هو سيد الباحثين ، فهو أستاذهم
اذن فى الميادين التى لم يهيئها لهم ، بفضل روح منهجه وحب
استطلاع الحى على الدوام - وهو أستاذهم فى ميدانه
الخاص بفضل ايمانه بالرؤيا النهائية وبفضل حرارة شوقه،
وبفضل اجتهاده فى المحافظة على توجيه كل قوى نفسه نحو
الحق على الدوام -

المدينة الفاضلة

١ - فى الاعتزال وفى العمل

تجرى حوالى عشرون سنة بين موت سقراط ورحلة أفلاطون الثانية الى صقلية . شاهد أفلاطون خلال تلك الحقبة استمرار المعارك الفظيعة بين الاخوة اليونانيين حين حاولت أثينا وحليفاتها أن تحافظ على سقوط اسبرطة ، ولكن اسبرطة استعادت السيطرة من جديد ، فتآمرت أثينا وطيبة ضد صولتها العنيفة ، ثم ابتعدت أثينا عن طيبة التى اشتد ساعدها ، وتحالفت أثينا واسبرطة ضد سطوة طيبة . وغدت بلاد الفرس هذه النار وحاولت التحرر شيئاً فشيئاً .

فساعدت اسبرطة على سحق أثينا . ولما كسر جناح أثينا حاولت اسبرطة استعادة ما تخلت عنه فى آسيا من قبل . وأخذت منذ عام ٤٠١ ق م فى مساعدة فيروس الأصغر ضد أخيه أرتاكسيركس ، وأيدت فى السنين التالية يونانيى آسيا الصغرى ضد واليهم الفارسى تزارفن . ولكن أسطولها ضرب فى عام ٣٩٤ ق م ضربة قاضية تلقاها من الأسطول الفارسى عند كنيدا ، وكان يتولى قيادته أمير البحر الأثينى كونون الذى أخذ أخيراً بثأر النكبة التى أزيلت فى

ايجوسبوتاموا • ثم تحالفت أثينا مع طيبة وكورنثوس وأرجوس لتتمكن من زعزعة سلطة اسبرطة الصلبة • وأفادت من مساعدة الفرس في اقامة جدرها الضخمة ، وجدر كونون أسطولها البحري وأعاد اليها ترازيبولوس السيطرة على البوسفور • ولم تتوقف اسبرطة في هزيمتها عن حيك النساء من حول ارتاكسيركس وعن التواعد بأقامة امبراطورية أثينية جديدة • ونجح أخيرا أنتالكيداس ملكها عام ٣٨٦ ق م في الحصول على معاهدة تعيد الى الفرس سيطرتهم على يونانيي آسيا وتعيد « الاستقلال الذاتى » لكل المدن اليونانية • وكان فى هذا ، القضاء المبرم على كل محاولة للتحالف • وهكذا ظلت اسبرطة سيدة كما كانت •

أدرك ذلك حلفاؤها غير المتحمسين لها كما أدركه أعداؤها • فقد حطمت أسوار مدينة مانتينه وانتشر سكانها فى خمس قرى كبيرة • واحتلت قلعة طيبة غدرا وخيانة دون قتال فاضطرت طيبة الى أن تنحاز الى الحلف الاسبرطى • أما أولنثوس التى ارتبطت بمعاهدة حاسمة جدا فى خلقدونيا فقد استولى عليها عام ٣٩٦ ق م بعد قتال ثلاث سنوات ومن ثم تلاشت المعاهدة • ولما خلصت طيبة بفضل تحزب مواطنيها ، انحازت أثينا التى كانت قد نجت من ضربة اسبرطة الى جانب الطيبين وعملت على إعادة اتفاق بحرى لصالحها الخاص • ولكنها رأت أن طيبة تنال السبق فى سرعة ، فعقدت الصلح مع اسبرطة خوفا من تلك القوة المتزايدة • وفى اللحظة التى كادت تنهار فيها قوة اسبرطة ، حين هزمها أبامينندس عند لوقرترس عام ٣٧١ ق م وحين غزيت فى عقر دارها ، صممت أثينا على شد أزرها فأرسلت جيشا بقيادة

أبيقراط الى برزخ كورنتوس وتحالفت معها تحالفا عمليا
 ضد طيبة. في ربيع عام ٣٦٩ ق.م. ثم غزا أبامينداس
 البليبونيز مرة أخرى . ورغب حاكم بلدة بريجة الفارسي
 ودنيس حاكم سيراقوزا في انقاذ اسبرطة ، فعقدا مؤتمر
 سلام في دلف ولكن جهودهما ذهبت أدراج الرياح . فلم تتغل
 طيبة عن شيء . بل لقد نجحت في اكتساب أرتاكسيركس
 نفسه الى جانبها ؛ ولكن هذا لم يكن أحسن حظا في توطيد
 السلام واستمرت الحرب حتى أرهقت أمهات المدن المتعادية .
 وعلى هذا النحو كان استغلال اليونان لقوتها ! وفي سنة
 ٣٦٨ ق.م. ، عقب تدخل الطيبين الظافر في مقدونيا ،
 أرسل البلاط المقدوني أميرا شابا ليتلقى العلم في مدرسة
 طيبة العسكرية . وكان هذا الرهين يدعى فيليب .

وقد يطيب لنا أن نعرف تأثير هذه الأحداث الضخمة
 في نفس أفلاطون . ولكن كل ما نملكه ويا للأسف وهو
 الوثيقة الوحيدة المقتضبة التي أرخ أفلاطون فيها لنفسه ،
 أعنى الرسالة السابعة ، لا تحدثنا مطلقا عن الفترة بين عام
 ٣٨٨ وعام ٣٦٧ ق.م. ولا تذكر من أحداث السنين السابقة
 على هذا التاريخ الا حديثا موجزا جدا ، فضلا عن أن
 ما ذكرته لا يتناول الا سياسة أثينا الداخلية فحسب ! . ولما
 كان شبح سقراط يطغى على المحاورات، فانها لا تظهرنا بشكل
 مباشر الا على رجال العهد السابق على سنة ٣٩٩ ق.م. وعلى
 أحداث هذا العهد . والمحاورات مع هذا كله روايات بالمعنى
 الصحيح : فمن الطبيعي اذن أن تسعى ، كما تفعل
 الكوميديا ، الى جذب انتباه الجمهور الذي تخاطبه بتلميحات
 تنم عن حوادث لا تزال حاضرة في الشعور أو لا تزال ذكرها
 حية في النفوس . واستدعاء تلك الحوادث اللاحقة على موت

سقراط يتضمن أخطاء تاريخية ، تسمح لنا بأن نحدد تاريخ بعض المحاورات على نحو تقريبي ؛ ولكنها سريعة من غير شك بحيث لا تطلعنا على آراء أفلاطون الشخصية . فالمأدبة التي يبدو أن أرسطوفان يشير فيها الى تشتت مدينة مانتينه ، يجب أن يرجع تاريخها الى ما بعد عام ٣٨٥ ق م بسنوات قليلة . ومحاورة تيتاوس مصدره بمقدمة ذكر فيها أن تيتاوس أصيب بجرح مميت في معركة بالقرب من كورنثوس : فهي ترجع اذن ، على وجه التقريب ، الى ما بعد عام ٣٦٩ ق م . ويؤبن سقراط في متكسين «موتى الحرب» . ويرد هذا التأبين على لسان اسبازيا زوجة بركليس ، ولكي يحول بيننا وبين أن ننظر الى هذا التصوير نظرة جدية أخذ يلخص في خطوط متباعدة تاريخ أثينا حتى سلام انتالسيداس في عام ٣٨٦ ق م . فمن العسير حقا أن نبحث هنالك عن صدق صادق لحكم أفلاطون على سياسة هذا الزمان .

والواقع أننا نعلم سياسة واحدة لها قيمة الآن بالنسبة الى أفلاطون : تلك هي السياسة التي كان يعدها في عزله الشاقة . كان لحياة الدرس هذه سحر في نفسه عميق ، فأى مأوى هياته هذه الحياة ليتعزى فيه الفيلسوف الفار من عدوى العلم الدنس « واذ يلتجئ الانسان خلف حائط حالما تنبأغته عاصفة شديدة من الأتربة والأمطار ، كذلك ينأى الحكيم بنفسه عن عواصف الظلم حيث يرى الناس يضطربون ، فهو سعيد حقا أن أقام في هذا العالم الدنيء دون أن يتلوث بالبغي والعدوان ، وهو سعيد أيضا ان فصل عنه ملء النفس بأمل جميل مطمئن القلب قرير العين » . ولكن أيرضى بمثل هذا المصير ؟ كلا ، لأنه سيذهب في المدينة التي أقيمت

له « الى أن يرتفع بكمالها الى أقصى حد بل الى أن ينقذ شعبها كذلك » . وترسم لنا الجمهورية صورة تلك المدينة التي سيحقق فيها الفيلسوف حلمه بأن يحقق ذاته .

٢ - خيال وتطرف

أصبحنا بعد شيشرون نعتبر كلمة « الجمهورية » ترجمة لكلمة تقرب في معناها من كلمة « دستور » . وهذه الكلمة وحدها هي أفضل ما يعيننا على أن نفهم أن مشروع أفلاطون لم يكن حدثا جديدا كل الجدة في ذلك العصر . أسس اليونانيون مستعمرات متعددة اعتادوا أن يقيموا فيها نظما مأخوذة من مدن متباينة ودساتير متزايلة . ودفعوا بمستكشفهم الى أقطار مختلفة أشد الاختلاف وعرفوا شتى أنواع النظم الاجتماعية . وولعوا بالجمع والمقارنة والابتكار . وكتب أرسطو مائة وثمانية وخمسين بحثا في الدساتير ورأينا أقريتياس يقوم بعمل محدود من هذا القبيل . ولكن هذه المادة السياسية كانت لم تنزل في عصر أقريتياس في دور التكوين بصورة أوضح مما كانت عليه في عصر أرسطو . وفي أثناء الثورات التي حدثت في عام ٤١١ ق م ، وفي عام ٤٠٣ ق م ، هيات الحرب الأهلية وغذتها حرب مساجلات سياسية . وكانت الأفكار على حال أشبهت التباعد في تباعدها . وكانت مسألة الدساتير النافذة أو المقترحة أو المفترضة على درجة من التعقيد ، سمحت لمؤرخ كأرسطو نفسه أن يخطئ فيها .

أما في فترة الهدوء التي أعقبت هذه الثورات ، فإن أشد انقلابات المشرعين تطرفا لم تكن لتزعج بعض القراء

الذين شهدوا كثيرا من التقلبات ، بل وجد فيها أصحاب الكوميديات على العكس من ذلك موردا ميسورا . فعرض أرسطوفان حوالى عام ٣٩٢ ق م روايته « مجلس النساء » وتبعها للخطة التى يفصلها زعيم برلمان النساء هذا ، يصبح كل شىء حقا مشاعا للجميع « من خبز وكعك وملابس وخبز وأكاليل ويقول « بل ومن نساء كذلك ، وسينادى الأطفال أن « يا أبت » لكل رجل متقدم فى السن . ويعمل العبيد فى الأرض . أما المواطنون والمواطنات ، فليس من عمل لهم الا أن يحيوا فى دعة وأن يتسامروا ما طاب لهم السمر . وكان هذا الذى عبر عنه أرسطوفان فى سخرية ماجنة هو الهدف الخطر الذىرمى اليه بعض الخياليين . ألم تكن النزوة السائدة فى ذلك الحين هى المقابلة بين الطبيعة والقانون واعتبار كل ما هو جمعى صادرا عن تواضع الانسان وهواه ؟ . . . فليس من عجب أن تتباعد حدود الامكان الى ما لا نهاية وأن يأمل الكثيرون وهم غارقون فى أحلامهم فى أن يعودوا الى الحقيقة البدائية .

اعتبر أفلاطون الدولة ضرورة من ضرورات الطبيعة . ومع هذا فلم تكن النزعة الفنية لديه هى التى جمعت وحدها بين الخيال والحب . اذ ان رجل العمل يعاوده القلق ، فى العزلة التى فرضها على نفسه ، من أجل اعداد العدة لمستقبل بعيد جدا . فكان فى حاجة اذن الى تحقيق هذا المستقبل والى أن يراه حاضرا لساعته أمام عينيه لا أن يبقى حلما مطويا . وقد انضاف العنف الذى ثار فى نفسه نتيجة لتدبره لوطنه ونتيجة لحيبه لوطنه كذلك ، الى دافع الاستنتاج المنطقى فتمنحضا عن جرأة فى التفكير لا تعرف حدا . ولكن الخبرة والسنين ستطامش من غلوائه ذهنى وستعيده الى الائتلاف

مع الواقع من جديد . رغم تنازله على هذا النحو عن « الفروض » وتكيفه بالظروف الواقعية ، فإنه سيحتفظ على الدوام بذكرى « نظريته » وأسفه عليها وسيحتفظ بما يحتفظ به مفكر البرج العاجى من تفضيل للأفكار التى يعلم أنها أشد ما تكون بعدا عن التحقيق .

ما هو فى نظره أعظم شر للمجتمعات الموجودة ؟ . . هو الربط بين « القوة » و « الاستمتاع » ذلك الربط الذى يعتبره الجميع طبيعيا وضروريا . ولقد سمعنا بولص وخاليقليس ينادى ، كل منهما بأسلوبه الخاص بحق القوة وبعدالة الفعل الذى لا وازع له . ويفصل ترازيماخوس نفس النظرية فى حماس شديد فى الكتاب الأول من الجمهورية . ليست العدالة اذن الا مصلحة الأقوى : ففى كل دولة سواء أسارت على الطغيان أم كانت ديمقراطية أو أرستقراطية ، ليس للقوانين من غاية غير منفعة الحاكمين . أما الصور المثالية لملك راع فأبعد ما تكون عن الفطنة بل الأحرى أن نقول انها لغو فى الحديث : ألا ترى الى رعاة الأغنام ورعاة الأبقار كيف يسمنون الأغنام والأبقار فى غير ما نظر الا الى منفعتهم ومنفعة آسيادهم ؟ . . ان شهوة الحكم لأعظم الشهوات جلبا للنشوة ، اذ كل الشهوات متضمن فيها .

أى دواء عسى أن يصلح لهذا الداء الذى أفسد كل فكرة عن الحكومة أو يصلح على الأقل لأن يفصل فصلا تاما بين معنى السلطة والمنفعة الشخصية ؟ . . انا نجد فى هذا الدواء وسيلة لرفع الداء الآخر فى نفس الوقت ، أعنى الجور المفسد الذى يسود المجتمعات الشعبية والبلاد

الديمقراطية • لنخل بين الشعب وبين الحرية الكاملة المطلقة في الشئون الاقتصادية ، ولتنتزع منه السلطة ومشغل الحكم ، وعلى العكس من ذلك نتخى بين الحاكمين وجميع المشاغل المادية حتى أبسط ميول التملك والمنفعة فلا ندع لهم الا وظيفة واحدة ، ومهمة واحدة ، هي حكم الدولة • أما المؤونة فسيكفلها جمهور الصناع والعمال لرؤسائهم كما يكفل الغذاء لكلاّب الحراسة • فاذا ما أحسنت تغذية تلك الكلاّب وكانت كلاباً قنوعة متيقظة فستحسن بدورها قيادة القطيع ورعايته • ويصدر عن هذا المبدأ ما نسميه عادة بشيوعية أفلاطون • وهي شيوعية ان شئنا من أشد أنواع الشيوعية تطرفاً ما في ذلك شك ؛ ولكنها قاصرة على طبقة حراس الدولة ورؤسائها •

ولما لم يكن لهؤلاء الحراس من شاغل آخر سوى حماية المدينة وإدارتها فسننشئهم كما تنشأ القلعة ، أو كما ينشأ جيش احتلال في أحد المعسكرات • وكانت اسبرطة قد يثت أمثال هؤلاء الحرس في اليونان بأسرها على وجه التقريب في الحقبة التي ألف فيها أفلاطون محاورة الجمهورية ويحتمل أن يكون ذلك خلال الفترة التي بين عام ٣٨٤ وعام ٣٧٤ ق م ، وكان يتولى الحكم في كل مدينة جماعة من الأرستقراط المنتخبين تحت إشراف ورعاية هؤلاء الحرس • ولكن أفلاطون تابع ما يتضمنه مبدؤه من منطق ، فشان هؤلاء الحراس شأن المتحاربين في المعسكر • لن يكون لهم منزل أو حانوت لا يطرقه الجميع • ولن تكون لهم ملكيات خاصة البتة • وسيتناولون طعامهم على موائد مشتركة بينهم ولن يتقبلوا من المواطنين إلا ما يلزمهم من مؤن لسد حاجتهم السنوية وسوف لا يتقاضون أى أجر على

عملهم • وحظر عليهم وحدهم امتلاك ذهب أو فضة فضلا عن مسهما أو لمسهما • وسيكونون اذن فئة من الموظفين غير مأجورة • ولنذهب الى أبعد من ذلك بأن نذكر المبدأ الذى صاغه أفلاطون خاصا بذلك : « لن يملك أحد منهم شيئا سوى بدنه أما كل ما عدا ذلك فهو شائع بينهم » •

يعنى بكل ما عدا ذلك النساء والأطفال أنفسهم • أما الى أى حد تجاهل أفلاطون المرأة ، فهذا ما يظهر من تلك العبارة الوحشية الساذجة « كل ما هنالك من فارق بين الجنسين هو أن الذكر ينسل والأنثى تلد » • وثمة قول آخر أقل عنفا من سابقه وهو : « فى مقدور المرأة أن تقوم بكل ما يؤديه الرجل ولكنها أقل منه قدرة وأردأ منه انتاجا » • وكذلك كان أفلاطون عصريا كاسبرطة التى اتخذها نموذجا له ، غير أن هؤلاء البصريين كانوا من الأقدمين • فأراد أن يلقن الفتيات نفس التعاليم التى يتلقاها الفتيان وأن يكلفهن نفس الواجبات ، هذا مع مراعاة ضعف جنسهن •

لكنه ويا للأسف يذهب الى أبعد من هذا ويسبق التجارب الخطيرة التى تحاول بعض المذاهب السياسية ، وان كانت من نوع آخر ، أن تحققها بعد أن كانت من قبل أحلاما • « وستكون النساء حقا مشاعا بين الحراس فلا تسكن أحداهن على الدوام الى فرد بالذات • وسيكون الأطفال كذلك أبناء للجميع فلن يعرف ولد أباه ولا أب ابنه » ولنطو كشعا عن التنسيقات التى تخيلها من أجل المحافظة على سلامة النوع • ولنشر فقط الى ذلك المفهد الغريب الذى يجمع فيه الأطفال أو « روضة » الأطفال الأهلية الى حيث تذهب الأمهات لارضاع الأطفال ويعهدن بكل شئ آخر الى عناية المربيات •

الام تصل القسوة بمنطق ذلك الخيال ! - « علينا أن نتخذ جميع الاحتياطات الممكنة حتى لا نتعرف أى أم على ولدها » .
وان مثل هذه الخيالات لتذكرنا بكلمة يسكال : أراد أفلاطون أن يعلو على الطبيعة فسقط الى الحضيض .

٣ - نحو أحلام أنسب للإنسان

وددت لو أفصل فى سرعة عن هذه الأضغاث ، وأحمد الله إذ أجد فى معاورة الجمهورية أشياء أخرى . وانا لنشعر بارتياح حين نسمع سقراط يعترف فى موضع آخر بأن خطته عسيرة التحقيق فى مجموعها فعلىنا أن نحاول الاقتراب منها قدر المستطاع فقط . وليس فى وسع المرء ألا يفكر فى أن أفلاطون لو كان مسيحياً لاستطاع أن يحقق مثله الأعلى مع بقائه انسانياً مع ذلك . ماذا يريد على وجه التحقيق ؟ . - أراد ألا يفرق « ما هو لى وما هو لك » بين حراسه وألا تشغل قلوبهم عواطف أخرى عن أن يتفرغوا تفرغاً تاماً للعمل المطلوب منهم ، حتى ولو كانت هذه أقدس العواطف حرمة . ولما عجز عن الكشف عن وسائل أخرى للزهد فقد لجأ الى الزيغ والتخبط فزاد الطبيعة قسوة على قسوتها . هذا ، وقد لجأت عصورنا الوسطى الى ايجاد النظم الدينية العسكرية فى سبيل حل مشكلة كتلك .

وانا لسعداء إذ نجد فيه الى جانب المنطقى الفظ مدافعا انسانياً الى أقصى حد عن « حقوق بنى الانسان » ولعل من الواجب أن نقول « عن حقوق اليونانيين » فحسب . ولكن ألا يكفى فى سبيل تحقيق حلم السلام الشامل أن نبدأ أولاً

بتلطيف النزاع بين الاخوة والجيرة ؟ - - - آليس فى السلام
 الأوروبي مقدمة جميلة لسلام عالمي ؟ - - - أدرك أفلاطون
 اذن كما أدرك بعض ذوى النفوس النبيلة فى ذلك الحين
 أمثال جورجياس عينه وليزياس وايزوقراط أن الحرب
 الداخلية بين اليونان هى السبب الوحيد فى غلبة البرابرة .
 وهو يقر بذلك ولكنه لما لم يكن يأمل فى أن تضع الحرب
 أوزارها فى الحال ، أراد أن يوقف الجميع على حقيقتها على
 الأقل ويبين لهم أنها حرب أهلية ومرض عضال وآفة يجب
 أن نضع لخطرها حدا . فيجب اذن ألا تستعبد أية مدينة
 يونانية أو أية نفس يونانية . وألا تسلب أمتعة ولا تخرب
 أرض الوطن ولا تحرق المنازل . وأن نقنع بمحصول
 العام . وألا يعامل مواطنو الدولة معاملة الأعداء سواء
 أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا . وألا نعد مع أجل الحرب
 الى ما بعد اليوم الذى يتقدم فيه بالاعتذار المذنبون الحقيقيون
 ومع كانوا سبب الخصومة . وفى اختصار ، ألا نقوم بأى
 حركة من شأنها أن تشعل الحرب دون أن نذكر وجوب نشر
 السلام فى سبيحة اليوم التالى . أفكار جميلة ، كانت لها
 قيمتها وسط فظائع كتلك التى لحناها مع قبل . فهل كانت
 هذه الأفكار أقل أثرا فى نضالنا « العلمى » فيما بعد ؟

لم يكن أفلاطون يقينا ليبشر بسياسة خداع . ولم يكن
 ليؤمن بأن ثمة معجزة ستخلص الانسانية أو لينصح لشعب
 ما أن يهب نفسه لقمة سائغة لأطماع الآخرين . وبقدر
 ما يعرض مع يطنطنون بذكر الحرب أوطانهم لأضرار
 لا تغتفر أخذ أفلاطون يعيب ، فى معاورة السياسى ، أخلاق
 التخاذل « التى تحولت من حب فاضح للسلام الى فقدان كل
 قدرة على الحرب وأصبح الناس وهم تحت رحمة أول مهاجم » ،

ولم يعتبر الحرب أقل خطرا من هذا . فأخذ في معاورة الجمهورية نفسها وكذلك في معاورة القوانين منذ بدايتها وهي جميعا تعتبر دستور هذا المفكر ، يثور في حدة ضد المثل الأعلى للمحارب الذي قدسته كل من كريت ولاقيدومونيا . وكانت الحرب قد أصبحت المصدر الوحيد لعصابات المرتزقة الذين أخذوا يعرضون خدماتهم منذ امد بعيد على طيبة حيننا وعلى اثينا أو على اسبرطة حيننا آخر وعلى مصر او فارس حيننا ثالثا ، ثم اكثرتهم مقدونيا لغزو العالم . ويحقر افلاطون من شان هؤلاء القتلة الاجراء ولكنه يدعو في نفس الوقت الى اجلال اصحاب الضمائر ، أولئك الذين يجد فيهم الوطن امنه وطمانينته وهو يضع هؤلاء في مرتبة تتلو مرتبة المشرعين مباشرة . وهذا لا يمنعه من أن يصرح بأن الحرب ليست غاية للدول ولكن السلام هو الغاية او أن الغاية هي شيء يفضل كل شيء آخر بل ويفضل فضيلة السلام الانساني نفسها ، أعنى الانصاف التام .

٤ - مملكة الانصاف

لئن كان القدر العاشر قد شاء أن يحرمنا من كل معاورات افلاطون فيما عدا الجمهورية ، فانتا سنجد أيضا فيما يكشف عنه هذا الأثر الرائع من ثروة في الفكر وفي النعمات والأسلوب دواعي كافية لتبرير اعجاب القرون المتتالية « بأفلاطون الاله » . وتبلغ هذه المعاورة وحدها من الاتساع ما لا تكاد تبلغه معاورات جورجياس ومينون وفيدون والمادية سويا ، بل وكل ما عالجت هذه المعاورات من نظريات تلتقى جميعا في تلك المعاورة . وهي من جهة

أخرى مملوءة بأفكار تزيدها المحاورات اللاحقة تفصيلاً .
 وكان أفلاطون قد فصل عن هذه المحاورة من حين إلى آخر
 خلال السنوات التي أوقفها على تأليفها لينشئ محاورات
 أخرى أقصر منها . ومهما يكن من أمر تعقيدها ، فإنها بديعة
 البنيان لا تكتسب وحدتها من ذلك الفن الدقيق الذي يجانس
 بين أجزائها فحسب بل ان ثمة فكرة تسودها وتكسيبها الحركة
 والحياة - تلك هي فكرة الانصاف .

ارتطم العالم من وقت لآخر بنظريات تقر القسوة
 والظلم . ولكن الواقع أن العالم يزدري القوم العادلين
 ويحتقرهم ان كانوا ضعفاء بائسين ولا يحب الا الفوز
 والانتصار . ولكن الفوز يأتي الظالم الذي يحيط نفسه
 بمظهر الخير ويجنى الشر في غير ما حرج ولا تردد . وقد
 يهتدى العادل في سيره بضوء ضميره ولكن هذا الضوء لا ينير
 العالم . فان لم يبع عن العدالة حولا ينكر فضله ويزدري
 شأنه « فيضرب بالسياط ويعذب ويكبل بالأصفاد ويقضى
 على نور عينيه . ثم يصلب بعد أن يذوق هذا العذاب
 الشديد . ألا يرى حينئذ أن المسألة لا تنحصر في أن يكون
 منصفاً بل تنحصر في أن يبدو كذلك ؟ » .

ماذا يذكر الشعراء الآن وهم أضواء العالم ؟ . . .
 لئن تمدحوا بالمنصف فإنما يفعلون ذلك ليذكروا لنا أن
 الآلهة انما تطفئ له النعيم وتفيض عليه بالخيرات وإنها
 ستجزيه حتى بعد موته مادياً . ولكن كم يجعلون من سبيل
 العدالة طريقاً وعثّة شاقة ! أما طريق البغي فهي على
 النقيض لينة منشورة بالرياحين . ألم نر إلى آلهة هؤلاء
 الشعراء كيف وهنت عزيمتهم في توعّد الظالم بعذاب
 الجحيم ؟ لئن أرادوا منا تقدير العدالة حق قدرها لامتنعوا

عن تصويرها فى صورة سبيل غير مأمونة الجانب الى حد ما ولقالوا لنا ان العدالة هى لذاتها أفضل فضائل النفس ، وان الظلم أردأ سيئاتها .

ولكى نعرف طبيعة العدالة فى حقيقتها لن نترى حتى نكشف عنها فى حياة الانسان الخاصة . فنفس الانسان ميدان شديد الضيق ، خطت عليه الحقيقة بحروف دقيقة يعز على بصرنا القاصر ادراكها - فالأجدى أن ننظر فى حياة المدينة وأن نسعى الى قراءة الحقيقة فى صفحة هذه النفس الكلية ، التى تكشف لنا فى صيغة مكبرة ميسورة القراءة عن سطور النفس الفردية . تتكون المدينة من ثلاث طبقات من بنى الانسان ، الطبقة الحاكمة وطبقة الجند وطبقة الصناع والعمال . فان تحقق هؤلاء بالصناعات المشروعة فيهم مثلت طبقة الاحكام الحكمة فى النفس الكلية وتجسد الجند الشجاعة . أما الاعتدال أو ضبط النفس ، فيسود المدينة ان احتفظت بتدرج متناسب بين أفرادها ، فاين موضع العدالة ؟ . - توجد فى النظام الذى يضع كل كائن فى موضعه والذى يحدد نشاط الكائن ورغباته بحدود وظيفته الخاصة . فكل عمله . وما ينبغى للنجار ان يستحوز على آلات الحذاء (بفتح الحاء وتشديد مع فتح الذال) ولا أن يتدخل فى صنع الأحذية فان هذا عين الفوضى ، وكم تكون الفوضى أوخم عاقبة لو أن النجار أو الحذاء أرادا من غير تدريب أو كفاية أن يقوموا بعمل الجند أو أن الجندي أراد أن يحل محل الحاكم . فاذا ظل كل عنصر من عناصر المدينة وظلت كل قوة من قوى النفس فى موضعها وقامت بوظيفتها على خير وجه ، استتب النظام وسادت العدالة . أما النظام ، فهو الصحة بالنسبة للنفس وللجسم على السواء ،

وهو خير النفس الطبيعي وشرط حياتها السليمة ، أفى حاجة نحن الآن الى أن نتساءل ما اذا كانت العدالة خيرا من الظلم أو كانت مفيدة للفرد أو للمدينة ؟

ان واجب التهذيب هو بث الأفكار والعادات التى تكفل هذا النظام الطبيعى بل هذا النظام الغريزى ان صح هذا التعبير . يجب أن يبدأ التهذيب منذ الحداثة وأن يستعين حينئذ بالقصص . وهنا نرى أفلاطون ، ذلك النظرى الذى نادى بالعلم المطلق ، لا ينكر أن العلم لا ينفذ الى الحياة الا على هيئة قطرات . فانا نظل أطفالا لمدة طويلة وما أسهل ما نعود الى ذلك الطور ! ان الغريزة هى التى تقودنا فى أغلب الأحيان وكذلك فى الأحيان التى ننساق فيها لفكرة ما ، نرى أنها تنبثق فينا من أعماق ذكريات معتمة . وأفعالنا انما تصدر عن جبر وعن تأثيرات لا ينالها الشك ، واذا صدر تصرفنا عن مؤثرات واضحة فان هذه الأخيرة أقرب ما تكون فى أغلب الأحيان الى الوجدانات أو الحدوس أو الاستدلالات المحتملة ، منها الى الاستنتاجات اليقينية . فالتقاليد والاعتقادات والخرافات والظنون قوى تفوق العلم فى التأثير . علم أفلاطون هذه الحقيقة وأخذ يستعين بها ما وسعه ذلك ليهتئء على الأقل الطريق المؤدية الى الاستدلال واستعان بها كذلك ليحل الاستدلال محله من النفوس التى لم تكن تستسيغه من قبل . ولئن كان أفلاطون قد قبل الخرافة ، فانه قد اشترط على الأقل أن تكون جدية حاثّة على الخير ، وان كان ظاهر الخرافة لا أساس له من الصحة فقد أراد أفلاطون أن تكون صحيحة فى دلالتها .

وسيختلق مشرعوه أنفسهم قصة خرافية ، اذ يذكرون للحراس والجند والصناع والعمال أنهم جميعا انما نشأوا

وخلقوا من طينة واحدة كانت تختلط بالذهب والفضة والحديد . يولد الأطفال عادة من نفس معدن آبائهم ، ولكن قد يمتشج ابن الحارس يوما ما بالحديد بدلا من الذهب ، وقد يولد ابن الحاطب ونفسه من ذهب . وحينئذ يرفعون أو يخفضون من غير ما تأخير الى درجات استئصالهم ، لأن المدينة ، وهكذا يقول المشرعون ، تهلك لا محالة ان تولى عنصر الحديد السلطة فيها . فالطوائف عند أفلاطون اذن مباحة للجميع الى حد ما .

ثمة قوم يحترفون صناعة القصص ، ومن هؤلاء يتبنى الشعب اكبر قسط من ثقافته . ويحدثنا أفلاطون بدوره بعد هرقليطس واكسينوفان عن قيمة هؤلاء المثقفين ، فيسخر هو الآخر في عنف من أسياد الخيال أولئك الذين أصبحوا أسيادا للحياة ، لذلك لن يغلى بين خيالهم الخصب وبين سلطة غير مأمونة الجانب في مدينته التي يشيدها . نعم ، أتى هوميروس وهزيود بدين اليونان . ولكن الفكرة التي يقدمانها عن الآلهة متضاربة بعيدة عن كريم الخلق مملوءة بالنفاق . فلن نسمح اذن لأكاذيبهم بأن تستمر في تسميم النفوس . كفتنا تلك الآلهة التي تتطاحن وتضطرع وتأتى الفحش والنكر، والتي تغار من بنى الانسان وتنتقم من سعادتهم ! ليس شأننا أن نؤلف قصصا ، ولكننا نطلب ممن يتحدثون عن الآلهة أن يراعوا هذه القاعدة العامة وهى : أن تظهر الملاحم والأناشيد والتراجيديا ، الله على حقيقته . فالله ليس علة للشر مادامت ماهيته الخير ، والله لا يفعل الا العدل : فاذا عاقب المجرمين فانما يبغى هدايتهم وصالحهم . والله بسيط فى غير تعدد أو كذب : لا يغير من صورته ولا يبدل من كيانه أو من الحقيقة التى هى ذاته . فلن نتغاضى اذن عن القول

بأن الآلهة سحرة ، وينبغي أن نخلص أعمال هؤلاء الشعراء
تخليصاً تاماً من عناصر الفساد » ان شئنا أن يكون حماتنا
صالحين تشملهم القداسة الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه
الإنسان » .

سنبعد كذلك كل الفقرات التي تصور الأبطال يكون
أو يتألمون ، يكذبون أو يتنازعون ، يتشائمون أو كانوا في
أفعالهم يفرطون . ان الشعر تقليد في أساسه ولكنه مولد
للتقليد كذلك : فهو يبعث في نفوسنا ويثير فينا المشاعر
والأفعال التي يتناولها بالوصف . لذلك لا يقبل أفلاطون
منه الا ما كان موضوعه الفضائل وكانت وسيلته البحور
والأوزان الهادئة البسيطة . وأخذ أفلاطون بنفس القاعدة
في اختيار الأغاني والانشاء والتصوير والنحت والتدريبات
الرياضية ، وأخذ بها كذلك في العلم الذي ليس الا امتدادا
لها ، أعنى الطب . فهذا العلم الأخير يجب ألا يكون من
أغراضه المحافظة على حياة من لا نفع فيهم . لذلك أراد
أفلاطون لهروديكوس التعس - صاحب الملعب الذي أقعده
المرض فصرف جهوده الى المزاوجة بين التدريبات الرياضية
والطب - « أن يمضى ما بقى له من عمر في ركود وعزلة » .
ويحدثنا أفلاطون عن نجار سقط مريضاً فقبل أن يظهر
جسمه وأن تبتتر الأعضاء المعتلة منه وأن يحرق ، وقد حدث
ذلك في غير توان . أما لو أتاه حديث علاج دقيق طويل لعاد
الى منشاره ومعهوله ، فاما أن يشفيه العمل أو يخلصه
الموت .

آداب وموسيقى وآداب رياضية ، ذلك هو المنهج العام
الذي يكفي جماعة الحراس . ولكن يوجد من بينهم ممتازون

نادرون أعدتهم الطبيعة لأسمى الأعمال فهم يتحرقون شوقاً الى العلم والى العلم بكل فروعه ، ويبغون تأمل الحقيقة الخالصة فيلتمسونها فى الحقيقة اللامتغيرة فى الأشياء العابرة . أولئك فلاسفة بالفطرة ، وسيحصلون عن طريق التدريب والتعليم على درجة من الكمال تمكننا من أن نعهد اليهم بادارة المدينة فى غير ما وجل . ذلك أن أفلاطون يعلن بأعلى صوته أن : « لن يسود البشر سلام ما برح الفلاسفة بعيدين عن عرش المدن أو لم يتحول الملوك وأصحاب السلطان الى فلاسفة بمعنى الكلمة » . وسواء وهب الفكرة القوة أو أعاد القوة الى الفكرة ، ألم يكن هذا حلمًا نبيلًا فى عصر أكد ومارس حق القوة وحده ؟ . .

ان الطريق المؤدى الى علم السيادة الحق هذا ، طريق شاق بعيد ، وان كانت الفلسفة قد نبذت الى هذا الحد فلعل السبب فى ذلك ، يرجع الى سوء معاشرتها فى أغلب الأحيان ، ويرجع السبب فى ذلك أيضا الى الاقتراب منها والابتعاد عنها فى سرعة شديدة باعتبارها مرحلة بين عهد المدرسة وعهد الحياة العملية . فقد اعتبرت فضلا من ثقافة يفتخر بالحصول عليها ولكن ذلك يكون فى عجلة ورفق . ولما كانت الفلسفة كمالا فسوف لا نسمح لأفضل حراسنا ببلوغ هذا الكمال الا بعد تدرج منهجى وسلسلة اختبارات عسيرة .

سوف نعلمهم منذ الحداثة الحساب والهندسة وغيرهما من العلوم التى توقظ الروح الفلسفية . وسوف نخلص هذا الضرب من التعليم من كل ارغام . فيلقن الأطفال العلم كما لو كانوا يلعبون ويمرحون . وفى سن العشرين بعد أن يمضوا عامين أو ثلاثة أعوام فى التدريبات الرياضية ، يعود

أزكاهم روحا الى ممارسة العلوم من جديد ، ولكنهم يتعمقونها فى هذه المرة ويملكون أعنتها بوجه خاص بأن يتمكنوا من نظمها وتسلسلها ، ثم يساقون من علم لآخر درجة درجة حتى يبلغوا علم الحقائق المعقولة أو الجدل . فيقتربون من هذا العلم فى سن الثلاثين ويلينون عرائكهم بممارسة مختلف مناهج الاستدلال الفلسفى . وليست الغاية من ذلك مجرد الزهو الذى لا طائل وراءه أو المجادلة اللفظية التى لا نفع فيها ، ولكن الغاية هى التعود على ادراك الحقيقة على خير وجه وعلى الدفاع عنها بأفضل الطرائق .

وفى سن الخامسة والثلاثين يهبطون من قمم الأفكار المجردة ؛ لكى يقوموا خلال خمسة عشر عاما بكل الواجبات العسكرية والمدنية المفروضة على كل رجل فتى . وفى سن الخمسين فقط يسمح لأولئك الذين يجوزون كل هذه الاختبارات بنجاح أن يتأملوا بصفة دائمة ماهية الخير ، أى الشمس المعقولة منبع كل وجود وكل نشاط ومسبار كل وجود وكل نشاط . ولن يكون هذا ضربا من التأمل الكسول . ولنصل الحديث بتلك الصورة التى أحبها أفلاطون ، مثلهم مثل البحارة على المركب سيدع كل منهم دراساته المنهكة لكى يحظى « بقسطه من الحراسة » وسيكون هذا واجبا لا محيص عنه أكثر من كونه شرفا يتقلدونه : فيتواترون على حكم المدينة وينشئون رجالا أكفاء لأن يحلوا محلهم . وحينما يفرغون من تأدية عملهم على خير وجه يرحلون الى الجزر السعيدة حيث يلقون خير جزاء . وستمجدهم الدولة كما لو كانوا كائنات الهية .

٥ - انحراف وتقهر

ان تولى الحكم فرد من بين هؤلاء الحراس الفلاسفة قلنا
عن الدولة انها ملكية ، وان تقاسم السلطة كثيرون سمينها
أرستقراطية . وليس ثمة من اختلاف الا فى التسمية :
فجوهر المسألة هو أن يستمد الحاكم أو من بيدهم الحكم
قوتهم من المبادئ التى قررناها وأن يداوموا على تنفيذها .

ويبدو من العسير أن يتغير دستور بلغ من الكمال هذه
الدرجة . بيد أن الأجيال الانسانية خاضعة لقوانين غريبة
فى تقدمها وتدهورها، فقد يقوم الزواج على غير أساس من
الوفاق وقد تسوء رقابة المواليد فيختلط الحديد بالفضة
بغير حق ويمتزج البرونز بالذهب . تلك هى بذور القلاقل
والفتن . أما الحاكمون والجند وقد انتصروا فى نهاية
الأمر فسوف يفيدون من هذه الحال فى الاستحواز على الأراضى
والمنازل وفى استرقاق العمال والصناع الذين عاملوهم من
قبل معاملة الأحرار . ويستبقون الى جانب ذلك من النظام
الأرستقراطى احتقارهم للأعمال التى تدر الربح وتناولهم
الطعام على موائد مشتركة وكلفهم بالتدريبات الحربية
والرياضية . ولكنهم سوف ينحرفون عن الفلسفة ويكلفون
بالقتال والسلطة والمال . تلك هى التيموقراطية ، حكومة
أساسها الطمع، تراها متحققة فى نظم كريت ولاقيدومونيا .

تبعث الملكية الفردية حب المال فى النفوس ، وخاصة
حينما يجد المالك نفسه مدفوعا الى أن يحافظ عليها وإلى أن
ينميها دون أن يقوم بأى عمل من جانبه . وسرعان ما يصبح

الفرد ولا مطمع له الا أن يغدو مشريا وأن يبدو كذلك . ثم تصل الحال عاجلا أو آجلا الى عدم السماح لأى فرد بالوصول الى الوظائف العامة دون أن يكون ذا نصاب مالى معين . وهكذا تنشأ الأوليغاركية ، حكومة الأقلية الرأسمالية .

وسرعان ما تنقسم الدولة على نفسها : فلا تعود مدينة واحدة بل مدينتين ، احدهما للأغنياء والثانية للفقراء . تحيا الواحدة منهما فى الخزى وتنهش كل منهما الأخرى . واذا كان لكل فرد حق البيع والشراء ، فان البخل سوف يغمون من انهيار المسرفين . ويصبح هؤلاء « الأغنياء الأقدمون » وقد قنطوا ، كالزناير التى لا تقلع عن الطنين والايذاء . فيصبحون وليس لهم من أمل الا فى الثورة لفقدانهم الخير والشرف فى آن واحد . وما أيسر أن تثار هذه الثورة فقد عجم الفقراء عود الأغنياء على ظهر البوارج الحربية أو فى ميادين القتال وسبروا غورهم ، وانتهوا الى القول بأن : « هؤلاء القوم ليسوا أقوياء الا لأننا جبناء » . فيثورون فى أول مناسبة وينالون زمام الحكم وبذلك تحل الديمقراطية محل الأوليغاركية .

هل الديمقراطية حكومة ؟ . . أليست جديرة بأن تكون حشدا ، كما يحدث فى السوق ، لما نشاء من أصناف الحكومات ؟ فكل فرد يحيا تحت ظلها بأسلوبه الخاص ، وفيها يجد أصحاب الطرائق الحرية التامة لنشر تعاليمهم ، وفى حماها تتأكد كل الطباع . ليس ثمة ما يفوق هذا التأين كثرة وتساهلا ، وما أكثر التسامح فى هذا الحكم ! اذ يتحرك من حكم عليهم بالاعدام أو بالنفى فى حرية ويتغطرسون فى صلف كأنهم أبطال . ويفوز بالأصوات أكثر الأفراد طنطنة فى تنصيب

أنفسهم قادة للشعب ، فلا يحاسب أحد عن نشاطهم أو عمن زكاهم . وفى هذه الغمارة حيث يستوى الكهل والشباب ، والغنى والفقر ، والحر والعبد يتولى القيادة الزنابير الذين أسلفنا فيهم القول . فيقوم بالدعاية أكثرهم حماسا وكذلك يقترحون القوانين ، ويتزاحم الآخرون مطمئنين من حول المحكمة خانقين كل صوت معارض : ولا عجب فهم السادة . يقسمون ثروات الأغنياء على الشعب محتفظين لأنفسهم بأوفر نصيب ، وتذهب شكوى الأغنياء أدراج الرياح ويساقون آخر الأمر الى القيام بحركات يتهمون بتدبيرها للقضاء عليهم ، بمعنى أنهم يتآمرون ويثيرون الفتن .

ثمة رجل يحذق تملق الشعب على الدوام وينصب نفسه حاميا له ، زنبار ذو حمة حادة وشهوة مفرطة ، مستعد لكل انقلاب واراقة للدماء ان بدت له من وراء ذلك السلطة والثراء . فيلغى الديون ويقتسم الأراضي ويشرد الأغنياء ويقتلهم . أما خصومه وقد عجزوا عن القضاء عليه بالطرائق المشروعة ، فانهم يتخذون مسالك أخرى . وهذا ما كان يؤمل فيه : فيشكل هيئة تحرسه وسرعان ما « يتربع على عربة الدولة ظافرا » . وليس « حامى الشعب » فى أول عهده الا ابتسامات ووعد وعطايا . ولكن كل هذا يختفى ويخبو (الحماس) الشعبى . فيثيره حامى الشعب باعلان الحرب التى يؤكد فيها دور المنقذ . فأية وسيلة أخرى عسى أن تفضل هذه لاعواز الشعب ولكسر شوكته ، وأى ظرف أنسب من هذا للتخلص ممن يخشاهم ؟ . . . وعندما تجار الأصوات بالشكوى يخنقها فى لجة من الدماء ، ويبدأ بالقضاء على من صعد على أكتافهم ، وهكذا لا يرى من حوله الا أعداء فينعزل

فى حصنه كدابة متوحشة وهنالك يحيا تساوره الشكوك
والمخاوف .

الطفيان ، تلك هى آخر درجة من درجات الانحطاط
التدريجي . هو أقصى ما يمكن أن يصل اليه الجور ، وهو
أقصى ما يمكن أن تصل اليه الدولة من شقاء . وهل يكون
الطفيان شيئاً آخر للطاغية نفسه ؟ . . . ولكي يفصل سقراط
فى سعادة الطاغية أو شقائه يستحضر « صورة ذلك الذى
عاش تحت سقفه والذى عرفه (سقراط) فى حياته الخاصة
عاريا عن نقابه وعن مظهره التمثيلي » ويذكر هذا الأخير
« أن الطاغية تضطره طبيعة سلطته الى أن يصبح أشقى
الناس وألى أن يجعل الذين يحيطون به أشقياء مثله » .

ان أفلاطون الذى يحلل الطفيان ويحكم عليه فى شيء
كثير من العنف نراه مع ذلك يعلم ان لم يكن يأمل فى استخدام
هذا الطفيان فى سبيل تحقيق غاياته . ويتساءل أفلاطون
فيما قبل أى فى الكتاب السادس من هذه المحاورة ، هل
يستحيل اطلاقا أن يولد أبناء الملوك والسلاطين مفطورين
على روح فلسفية ؟ ان البيئة تفسدهم : ليكن هذا ولكن هل
لإنسان أن يؤكد أن أحدا لن ينجو من هذا الوسط ؟ . .
ما أيسر ما يتوصل الى اقناع الشعب ! لأن للشعب روحا طيبة
فى الأصل . فلنتوره فى رفق دون أن نشتجر واياه ولنرشده
الى ماهية الفيلسوف الحق وحينئذ سوف يكلف به .

أما عن الفيلسوف ، فنعرف أنه لن يسعى الى فرض
السعادة على وطنه عن طريق القوة . هذا من ناحية ومن
ناحية أخرى ، فان الوطن الجدير وحده بالفيلسوف هو ما

نعتزم ايراد صورته : اذ ليس لهذا الوطن من وجود الا في
ذهننا بل الأفضل من ذلك أن نقول ان مثله « مثل نموذج في
السماء » ، وسواء أكان ممكن التحقق أم كان غير ذلك ، فلن
يدبر الحكيم وطننا سواه .

خبرة صقلية ودستور المصلح

١ - تتويج طاغية شاب

فى الفترة التى كان أفلاطون يحرر فيها الكتب الأخيرة من محاورة الجمهورية ، وذلك قبل معركة لوقطرس بمدة وجيزة ، كان دنيس الأول حاكم سراقوزا فى ذروة المجد .

كان دائما حليف اسبرطة وظل كذلك حتى النهاية . وانتقمت أثينا من هذا الحلف فى تهكم طالما آله . وكانت لدنيس ثقافة حقا : فكان يؤلف بنفسه التراجيديا والأشعار الغنائية وكان يصبو الى مجد أدبى . وحين انحازت أثينا الى جانب اسبرطة عام ٣٦٩ ق م ، أرسل الى أثينا إحدى سفاراته فاكسب حق المدنيين . وفى أوائل عام ٣٦٧ ق م صار حليفا لها : ولعل هذا يكون السبب فى أن تنال تراجيديته « دية هكتور » الفوز فى موسم الألعاب اللينية التى أقيمت فى تلك السنة . وتذكر بعض روايات مغرضة أن ما تبع ذلك من لهو ومن مآذب كان سببا فى موته . والواقع أنه لم يمت الا بعد ذلك بأشهر عدة .

ترك لولده الأكبر دنيس الثانى امبراطورية رائعة ، اذ انخرطت صقلية بأسرها تحت سيادة سراقوزا خلا الطرف

الغربي الذي احتفظ به القرطاجنيون ، وشمال كاليريا الحالية في ايطاليا حتى الخط الذي يمر من تروپيا الى كوترونيا . وكان دنيس الثانى ابنا لدوريس اللاكرونية . ولكن دنيس الأكبر كان قد تزوج كذلك من أرسثوماخى أخت ديون . وقد حاول هذا الأخير عبثا ، أثناء مرض الطاغية ، أن يمكن ابنى أخته هيبارينوس ونيزيوس من المشاركة فى السلطة . اذ مات دنيس قبل تحقيق رغباته ولم يرغب القواد الحربيون فى الانتقاص من الامبراطورية بتقسيمها . فنادوا بدنيس الشاب ملكا .

وكان أبوه قد ظل بدافع الغيرة محتفظا به بعيدا على الدوام . فكان يشغل اما بأعمال التجارة أو بمحاولات فى الشعر حيث أظهر طلاقة . الا أنه ويا للأسف قد أمعن فى كل ضروب المجنون . وأراد ديون الذى أخلص الخدمة للأب أن ينتشل الأمير الشاب من مزلقه الوعرة ومن براثن رأئديه الذين هيئوا له سبل هذه المفاصد . وأمل ديون فى الوقت نفسه فى أن ينحاز بالسلطان الجديد الى الملكية المستنيرة العادلة التى أصبحت مثله الأعلى منذ أن عرف أفلاطون . لذلك حرر لهذا الأخير أشد رسائله الحاحا وراح يصور له عظمة هذه الامبراطورية وذلك السلطان الذى اكتسبه ديون فيها والسهولة فى اصلاح دنيس الذى كان قد اتجه نحو الفلسفة والعلم ، والمعاونة التى سيجدها فيها أقارب الأمير من الشباب الذين زاملوه فى الدرس راغبين والذين شايعوه مختارين . وأخذ يهيب بالأمنية التى طالما تيمناها أفلاطون — ألا وهى أن يصبح رؤساء الدولة أو أبنائهم فلاسفة . وها قد حانت الفرصة أخيرا لتحويل قدرة

طاغية شاب مطيع نحو الخير ولتأسيس مدينة كاملة
بوساطته .

ولكن أنى لأفلاطون الذى كان دائم الطعن فى الطغيان
أن يلجأ مع هذا الى طاغية محاولا تحقيق مثله الأعلى ؟ . .
أليس فى ذلك تناقض ؟ . . كلا - فالطاغية فى مشروعات
أفلاطون ليس الا أداة للانتقال ووسيلة مؤقتة . والطاغية
هو القوة التى لها وجودها . فاذا استنار واذا كرس نفسه
لخدمة الفكرة ، فسوف يتم التحول العسير من الفوضى الى
النظام فى أقل وقت ممكن وبأقل عنف ممكن « وسوف
يصطف المواطنون فى سرعة تحت ارادة الرجل الذى يملك
فى يديه القوة والقدوة » وسيطيعونه بالقدر الذى يجعل من
نفسه مثلاً يحتذى « بممارسته لكل الفضائل » فليس ثمة
حينئذ طاغية أو طغيان ، بل دولة ذات دستور كامل وحاكم
فيلسوف ينشئ تابعه أو تابعيه على احترام هذا الدستور .
وجد أفلاطون فى هذا استدلالا صحيحا وصادقا . ولكن
خبرته فى صقلية ستثبت له اثباتا قاطعا أن أعلى الاستدلالات
درجة فى المنطق لا تنطبق على الواقع دون تعديل .

كان أفلاطون يبلغ عامه الثالث والستين ، حينما دعاه
ديون الى بلاط سراقوزا . وكان نفوذه وبعد صيته عظيمين
لا فى أثينا فحسب ، حيث كان نجاح « المفكرين وصغار
المفكرين » ، كما ذكر أرسطوفان ، دائما أقل بكثير من نجاح
الجمعيات والحديثين ، بل فى اليونان بأسرها . وقد جاءه
الطلبة من كل حذب وصوب من ميجاريا أو من أخية وأركاديا
ومن ايليديا ، ومن جزائر لسبوس وقبرص ، ومن مدن
آسيا كثر واد وفريجة وبونتا . وكانت لوقريدا ومقدونيا

وتراقيا تبعث اليه كذلك بشبابها الممتاز . وما ان كاد يعود
طلبة الأكاديمية الى بلادهم ، حتى يقوموا فيها بدور سياسى
فى أغلب الأحيان . فبرز منهم كثيرون فى التشريع واشتهر
آخرون بالدفاع عن الحرية ضد الطغيان . وكان ممن
يستمعون لأفلاطون فى ذلك الحين ايفريوس من أوربا فى
أيونيا ، الذى سرعان ما ظفر بنفوذ عظيم فى بلاط مقدونيا
تحت حكم برديكاس ، والذى لا بد وأن يكون قد مات أثناء
دفاعه عن استقلال اليونان ضد فيليب .

وأخيرا ، كان أفلاطون قد نشر فى تلك الحقبة ما يقرب
من عشرين محاوراة . وجاءت من بعد مؤلفه الضخم
« الجمهورية » محاوراة « فدرس » شرعة واضحة فى الحب
الصافى واللغة العذبة ومن المحتمل أن تأتى بعد ذلك دراما
« بارمينيدس » ؛ معجزة الميتافيزيقا ؛ تلك المحاوراة العويصة
الآخذة بمجامع القلوب . ولما بلغ قمة المجد الأدبى أخذ
يتحول شيئا فشيئا نحو المشاكل المنطقية والمنهجية . وانغمس
كذلك فى تاريخ الفكر المتقدم عليه . وحاول أن يخط
طريقه فى وضوح بين أولئك الذين لم يروا فى العالم الا
تغيرا وحركة وأولئك الذين اعتبروا حركة الأشياء وحركة
السموات نفسها مجرد خداع . فأخذ يفكر فى محاوراة طويلة
يعرض فيها بأسلوبه الخاص نشأة العالم وتكوينه . وعلى
هذا النحو حل أفلاطون محل عبث أصحاب الأساطير الأقدمين
وأصحاب الكونيات الغابرين ، وسخر أحسن ما وصل اليه
الملم الحديث ذلك العلم الكافر عادة فى خدمة مثاليته .

أكان عليه اذن ، كما تذكر الرسالة السابعة « أن يهجر
هذه الأعمال التى لا تخلو من مجد ؟ » ان الحياة فى ظل

الطغيان تتناسب قليلا مع مزاج المؤلف ومع رئيس المدرسة ومع الحالة التي كان عليها . ولكن أليس الاعراض عن الظرف المناسب معناه « التحول الى اللغو » الذي لا يصلح الا لانشاء مدن في الهواء ؟ . . - أليس في ذلك غسدر بصدقة ديون وصدقة الفلسفة في وقت واحد ؟ . . - عزم أفلاطون على أمر ما . فعهد بالمدرسة الى أحد طلبته الأقدمين هو اسپيزيبوس ابن أخته فتونى ، أو ربما عهد بها الى أيودوكس ، ثم رحل في ربيع عام ٣٦٦ ق م فيما يحتمل .

٢ - أفلاطون ودينيس الأصغر

استقبله دينيس الأصغر في كثير من الاجلال ، اذ كانت هذه الزيارة ترضى فيه الفضول والكبرياء معا . ولكنه وجد القصر مليئا بالانقسامات والدسائس . وقد خشي نفوذه أنصار الطغيان التام فأعادوا ، رغبة في مقاومة هذا النفوذ، المؤرخ فيلستوس من منفاه ، وكان قد أبعد دينيس منذ عشرين عاما خلت . عاون فيلستوس هذا الأخير على أن يصل الى السلطة وكان تام التأهب لأن يخلص لابنه ولأن يؤيده في الطريق المستقيم . وأخذت الدسائس تتزايد ضد ديون . وكان دينيس الأصغر ميالا للاستماع لها - فقد كان يعرف المحاولات الفاشلة التي بذلها ديون لصالح ابني أخته، ولما كان قد ورث الامبراطورية بأسرها رغما عنه أخذ يعاني في عسر وصايته السياسية أو الأخلاقية ، ولم يكن يتحمل هذا كله الا بدافع الخوف مثله في ذلك مثل طفل كبير .

ومن المرجح أن أفلاطون نزل ضيفا على ديون . فقد كانت الدسائس على أشدها في القصر . وها قد حصل حزب

فيلستوس بعد مضي ثلاثة أشهر على الحجة التي كانوا يبحثون عنها . كانت جميع المعاهدات قد نسخت بمجرد تغير شكل الحكم وكان من الواجب أن تعقد مفاوضات مع القرطاجنيين بصفة خاصة . فعثروا خلصة على خطاب من ديون ، الذي كان هو الوسيط على الدوام في مثل هذه المفاوضات في الحكم السابق ، يلتمس فيه من القرطاجنيين ألا يدخلوا في أية مفاوضة لا يكون هو ممثلاً فيها . فنادى أعداؤه بأن ثمة خيانة واعتبروا مشاريعه الاصلاحية مؤامرة ضد نظام الحكم . فاستقل ديون سفينة صغيرة نقلته الى ايطاليا . . ورحل من هناك الى كورنثوس . ورافقه أخوه ميجاكلس أو لحق به .

وكان انفعال أصدقاء ديون عنيفاً . وذاع في سراقوزا أن أفلاطون قد أعدم ؛ باعتباره مدبر المؤامرة المشهورة . ولكن دنيس حين تحرر ، ما كان ليقبل أن يحسب عدواً للفلسفة . فان احتفاظه بأفلاطون قد جعل نفى ديون يظهر على أنه مجرد ابعاد وابعاد وقتي فحسب، بل وربما كان يحتفظ به كرهينة . فلم يكن ديون ليحسر على القيام بأي عمل طالما كان يعرف أن أفلاطون تحت رحمة دنيس . وأخذ هذا الأخير يلح على أفلاطون الحاحاً شديداً في البقاء ، ولكي يجعل هذا الالاحاح على أعظم درجة من الاقناع سلب أفلاطون كل وسيلة لمغادرة سراقوزا بأن ساقه الى الأكروبول وجعل له فيه مقاما . وكان دنيس الكبير قد أقام قصره في جزيرة أورتيجي التي يصلها برزخ بالمدينة وهناك كانت كنوزه وعائلته وجنوده المرتزقة . فكانت كل محاولة للخروج من المدينة دون تصريح خاص لا بد وأن تذهب أدراج الرياح . ومن ثم كان أفلاطون ضيقاً سجيناً .

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، اذ أراد دنيس وهو الرجل الفيور بدافع الزهو ليس الا أن ينتزع من ديون صداقة أفلاطون وأن يستأثر بها لنفسه ، وحاول أن يكتسب الفيلسوف الى جانبه ففتح له أبوابه مرات متكررات وأنصت اليه وأخذ يشارك بنفسه في العمل ما وسعه ذلك . ولم يجسر مع ذلك أن ينخرط في مدرسته بصورة جدية ، اذ خشى ان يسلم نفسه بذلك للوصاية التي أعدها له ديون في كثير من البراعة على حد تعبير رجال القصر . وعلى العكس من ذلك ، تعلق أفلاطون في تخيلاته بأمل ارجاعه الى الفلسفة والتوفيق بينه وبين ديون يوما ما .

ولكن تلك النفس المتبدلة ، نفس دنيس المزهو الضعيف انفلتت من قبضة أفلاطون . وأخيرا وجد دنيس نفسه قد شغل بامر حرب من الحروب ، لعلها تكون الحرب ضد اللوقيين ، فأطلق سراح الفيلسوف بعد أن تقاضاه وعدا بأن يعود بمجرد أن تضع الحرب أوزارها ووعد هو نفسه وان لم يكن صادق العزم في انجاز ما وعد ، أن يدعو ديون في نفس الوقت الذي يدعو فيه أفلاطون .

عاد هذا الأخير اذن الى الأكاديمية فوجد فيها من بين الطلبة الجدد شابا يبلغ ثمانية عشر عاما سوف يصبح تلميذه المثابر لمدة عشرين عاما . ذلك هو أرسطو من استاجيرا ابن أحد أطباء ملك مقدونيا أمينتاس الثاني . وبمجرد أن عاد أفلاطون استأنف العمل فنشر محاضرة تيتاوس ان لم يكن قد نشرها من قبل ، وألف محاضرة السنفسطائي . وقد كان لهذه المحاضرة هي والدروس التي تشرحها فضل توجيه أرسطو نحو المنطق الذي سوف يصبح مؤسسه من بعد . أما حبيبه الشهيرة

ضد نظرية الحقائق المعقولة أو المثل ، فقد استعارها أرسطو كذلك من أفلاطون نفسه ومن معاورة بارمينيدس .

وأخيرا ، أصبح للأكاديمية في شخص ديون عضو مبرز . ولما لم يكن منفيا بصفة رسمية أخذ يتلقى إirاده بأسلوب راتب فكان يصرف ببذخ . وقام بعدة رحلات زار خلالها البليبونيز وأنعمت عليه اسيرطة بحق المواطن وشارك في الأعياد الكبرى وصادق كثيرين وجدد العهد مع آخرين . وكان أليفا في الأكاديمية بوجه خاص . ثم صار مواطنا أثينيا فابتاع قطعة أرض أهداها لسبزيبوس فيما بعد وتبرع لأفلاطون بنفقات حفل عام . وكان يقطن منزل كاليبوس الذي راده على أسرار أيلوزيس . سعد أفلاطون بأن يرى ديون محاطا بطائفة من الشباب الحى ، اذ ان مزاجه الحاد كان فى حاجة الى أن يعدل وكانت صلابته المعتادة فى حاجة الى أن تلتطف .

استمر دنييس فى تلك الأثناء فى حب استطلاع الفلسفى كما استمر فى استدعاء الفلاسفة . فعرض من أثينا سفسطائى يدعى بوليكرسين وأبشينوس السقراطى من أسفتوس ، وهو الذى رأيناه لدى أقليدس فى ميجاريا مع بعض الطلبة الآخرين . وحضر أرسطوبس من قورينا . وكان ماجنا مرحا قابلا على الدوام لأن يلائم بين نفسه وبين الأحوال التى تحيط به ، وقد بشر ، قبل أبيقورس بمدة طويلة ، بأن اللذة هى الخير الأسمى . وكان حقا أصليح رفيق لدنييس . وقد أفاد منه دون حرج وما كان لأى عمل دنىء أن يروعه مادام فى مقبوره أن يثار لنفسه بنكتة لاذعة .

ولكن دنييس كان يطمع فى أكثر من ذلك . فحاول أن يفرض نفسه على ضيوفه وزواره العائرين ، بما وعاه من

فتات العلوم التي تخلفت في ذاكرته من دروس أفلاطون ومحاوراته ومحادثاته . وشرع كذلك في كتابة بحث عميق فلما تولاها الارتباك في سرعة طرق كل وسيلة ممكنة لاستدعاء أفلاطون . فكتب اليه وجعل أرخيتاس وأصدقاءه من تارنتا يكتبون له وأوفد اليه بعض الصقليين وأخيرا بعث اليه بسفينة لتقله . ووعد أفلاطون بأن حضوره سيزيل كل ما بينه وبين ديون من مشاكل ؛ ولكنه لم يقلع عن امهال هذا الأخير . واذا آمن ديون في ثقة كما آمن أرخيتاس كذلك بصدق « فلسفة » دنيس ، ولما كان في نفسه حنين الى سراقوزا شدد على أفلاطون في قبول الدعوة . وأمام هذا الاغراء رحل أفلاطون غير راغب في الرحيل : فقد بلغ السادسة والستين .

وسرعان ما تقلب عليه دنيس فخبث جذوة الحكمة التي كلف بها هذا ، أمام خطة في العمل جدية ومجهود كان عليه أن يأخذ به نفسه . ولم تمنعه ميوله الطيبة نحو ديون من أن يوقف ارسال ايراداته . ولما كان الصيف الذي جلب معه الرياح المناسبة للابحار ، رغب أفلاطون في الرحيل بعد أن تبدد وهمه . ولكن دنيس أبقاه عن طريق وعود جديدة وكان أفلاطون بدوره يظن أنه سيصل الى انقاذ ثروة ديون . ومع هذا فقد نشرت السفن شراعتها . ولما زال هذا الخطر ؛ تملك دنيس أفلاطون من جديد ونكث عهده وأقدم في جراءة على بيع ممتلكات ديون . وحيا أفلاطون حياة مملولة « كالعصفور السجين » . واستمر الفيلسوف والطاغية يظهران أمام الجمهور بمظهر الأصدقاء . ولكن آثار غضب دنيس تدخل أفلاطون لصالح هرقليد الذي اتهم باثارة الفتنة بين صفوف

المرتزقة . وتمكن هرقليد من الهرب ولكن أفلاطون أقصى الى نفس موطن المرتزقة وكان فى اصلاح الطغيان تهديد لمصالحهم الشخصية ومعنى هذا أنهم لم يكونوا ليرضوا قط عن ذلك الميشر ، ومن ثم عاش أفلاطون فى خطر تام . وتمكن لحسن الحظ من اخطار أرخيتاس فأرسلت له حكومة تارنتا سفينة ذات ثلاثين مجدافا وأشعرت دنيس بأن رحيل أفلاطون أمر لا محيص منه .

٣ - ديون فى سراقوزا

تقابل أفلاطون وديون فى موسم الألعاب الأولمبية فى نهاية هذا الصيف من عام ٣٦٠ ق م . ولم يكن لديون، بعد أن تحرر من كل ممتلكاته ، من عون سوى السلاح . هذا وقد عرف أن دنيس كان سيزوج أخته لأبيه ، وهى أرتيه زوجة ديون ، من تيموقراط . فلم يبق أمام ديون الا الأخذ بالتأثر . كان أفلاطون قد نزل على دنيس ارضاء لديون ورغبة فى مساعدته ، وهو على استعداد على الدوام لأن يتدخل اذا سنحت الفرصة محاولا التوفيق ، ولكنه لم يعد فى حالة بحيث تسمح له سنه أو طبيعته بأن يخرج عما هو فيه من هدوء وطمأنينة . ولكن قلبه كان متعلقا بديون . فسمح لطلبة الأكاديمية بالانخراط فى خدمته وكان فى ضمنهم اسبزيبوس وكاليبوس وأخوه فليوستراتس واذيموس من قبرص ، وتطوع من دونهم كثيرون . وتحركت الحملة التى لم تكن تزيد عن ثمانمائة رجل وخمس سفن فى شهر أغسطس من سنة ٣٥٧ ق م .

أحبط ديون خطة فيليستوس الذى وجه همه نحو البحر الأدرىاتيكى بأن اتخذ طريقه فى البحر الأكبر . وهبط على

الشاطيء الجنوبي . ولما علم أن دنيس كان في ايطاليا أسرع في اتجاه سراقوزا وجمع خمسة آلاف رجل في طريقه اليها . وفتحت أمامه سراقوزا الأبواب على مصاريعها فدخلها دخول الظافر ، يؤيده أخوه ميچاكلس وكاليبوس الأثيني وأعاد الحرية للشعب ، فنادى الشعب - بدوره - بديون وميچاكلس « رئيسين مطلقين للجيش » .

حوصر تيموقراط في قلعة أورتيجي ولكن دنيس حضر لنجدته بعد سبعة أيام . وسيطر من هناك على البحر . وأشرف كذلك على المدينة وأخذ يبذر بذور الشقاق بين شعب سراقوزا وديون . هذا وقد كان ديون رئيسا منتخبا . ثم حضر هرقليد ، الذى كان أفلاطون قد أنقذ حياته ، في يوم ما من البلوبونيز تصحبه فرقة من الجند وبعض السفن . فانتخب رئيسا أعلى للقوات البحرية . وكان لديون من الرعونة ما جعله يحتج على هذا الانتخاب ثم يعود بنفسه الى تعيين هرقليد فى المنصب . وكان هرقليد رأسا مفكرا ولكنه كان دساسا لا يمل الدسائس وخطيبا مفوها . وقد تمكن اما عن طريق الصدفة أو عن جدارة من هزيمة أسطول فيلستوس فى الميناء الكبرى حين عاد الأسطول من الأدرياتيك . وأسر فيلستوس ثم أعدم . وفر دنيس الى ايطاليا تاركا القلعة فى حراسة ابنه الأصغر أبولوقراط .

أضعف هرقليد مركز ديون الى حد كبير حتى عزل هذا الأخير والتجأ الى بلدة ليونتينا . ولكنه لم يلبث أن عاد منها سراعا استجابة لدعوة أهل سراقوزا وهرقليد نفسه لانقاذهم : فقد تلقت القلعة مددا من ايطاليا . وبينما كان الناس مستفرقين فى الاحتفال بعيدهم وقد لعبت الخمر

برؤوس القواد والجنود ، اشعل مرتزقة دنيس النار في جزء من المدينة وأهرقوا دماء أهلها . وكان ديون يستطيع أن ينفي هرقليد ولكن سماحة نفسه كفيلسوف أبت إلا أن تمفو عنه . ولم تكن لديه ويا للأسف أية مرونة أو أية مقدرة على استهواء الشعب . فأتيح لهرقليد أن يجعل منه شخصا مبنوفا . أراد ديون أن يشرع دستورا معتدلا نافذا ، وأراد شعب سراقوزا أن يحكم نفسه وأن يلهو في حرية . وكان أبولوقراط قد مل البقاء في القلعة فانتهى به الأمر الى التسليم ، فلم يعرف ديون كيف يحقق الرغبة التي افصح عنها الشعب وهي أن يحطم معقل الطغيان هذا وبذلك أفسح مجالا لارتياب أحسن هرقليد استغلاله ؛ فأخذ هذا الأخير يدعو الى الديمقراطية والى توزيع الثروات كما حاك لدسائس لديون لا عند الشعب فحسب ، بل وعند دنيس أيضا ، وأعيت ديون (تلك الدسائس) فكان أن أخذ بنصح أصدقائه وسمح باغتيال هرقليد اغتيالا دنيئا ، بينما كانت لديه فرص عديدة تمكنه من استصدار حكم قانوني باعدامه .

وفوق ذلك ، فان مشروعاته نفسها كان من شأنها أن تسوقه الى الطرق التي يسلكها الطفافة عادة . فلكى يتمكن من فرض اصلاحاته ظل محتفظا بالجنود المرتزقة ، ولكى يؤدى لهم أجورهم احتكر أول الأمر أموال أعدائه ثم وجد نفسه بعد ذلك مضطرا لأن يثقل كاهل أنصاره بالضرائب الفادحة . وكان ديون يثق ثقة مطلقة بكاليبوس فاستغل هذا الأخير تلك الثقة ولعل دنيس قد أغواه ، وعمل على القضاء على ديون فأثار كاليبوس وأخوه فيلوستراتس ، ضد ديون ، أصدقاء هرقليد القدماء كما أثارا من لم يرضهم

الحكم فلما وقع ديون على حقيقتة الأمر لم يشأ أن يقاتل قائلا :
 « الا أن الحياة لم تعد تحتل اذا كان على أن أقتل الآن
 أصدقائي بعد أن قتلت هرقليد » . ثم اغتاله في قصره بعض
 المرتزقة ممن استأجرهم كاليبوس وذلك عام ٣٥٤ ق م .
 وكان قد بلغ عامه الخامس والخمسين .

ونودي بكاليبوس بدوره محررا للشعب وبذلك صارت
 له السلطة . ثم ثار أصدقاء ديون للمرة الأولى وكان من
 نتيجة هذا أن خر أوديموس صريعا في المعركة ، وأهدى
 اليه أرسطو محاورته « في النفس » . وأخيرا ، توصل
 هيبارينوس أحد ابني أخت ديون الى استرداد سراقوزا .
 وتوقفنا كل من الرسالتين السابعة والثامنة على مبلغ
 ما كان يساور أفلاطون من قلق ، في تتبعه لهذه الحوادث
 جميعا . وتجيّب هاتان الرسالتان على أصدقاء ديون الذين
 يسألونه النصح بعد ثورتهم الأولى وبعد انتصار هيبارينوس .
 ولكن هاتين الرسالتين تتوجهان في الواقع الى الجمهور وهما :
 دفاع وبيان سياسي في الآن نفسه . يروى فيهما أفلاطون
 رحلته الأولى وعلاقته بديون ونزوله ضيفا على قصر دنيس
 الأصغر مرتين متتاليتين ومحاولاته التي منيت بالفشل في
 سبيل تدارك الخصومة الحادة بين ديون ودنيس . وذكر
 فيهما الآمال التي علقها على ديون والتي خيبتها جريمة أحد
 الخونة . وأخيرا ، يرسم فيهما سبيلا للسلوك ليتبعه أصدقاؤه
 في سراقوزا ويصيغ من جديد مبادئ الحكمة السياسية التي
 لن يتحقق بدونها سلام للدولة .

٤ - مشروع حكومة معتدلة

يميز فلسفة أفلاطون كلها اتجاه مزدوج : الرغبة في الكمال المطلق في المعرفة وفي العمل والتسليم بالقضاء الذي لا مفر منه ؛ لكى يتمكن الانسان على ضعفه من تحقيق أكبر قدر ممكن من هذا الكمال المثالى . ان الرؤية السعيدة والدأب على التحليل والعلم الصادق والرأى الحق ، والهروب من هذا العالم والتكامل بالحقيقة وحياة التأمل والرسالة التى يتعين على الانسان أن يأخذ نفسه بها ، كلها أشياء جوهرية تواجه كل تفكير فلسفى أو دينى يتوخى التسامى بالانسان . فلا بد من أن نتشوف الذرى ونهيب أنفسنا لاعتلاء القمم . وانا لنلمح فى أفلاطون شاعرا وشخصا كشفت عن بصيرته الحجب . وانا لنطالع فيه أيضا ذلك الحكيم الذى جبل على الاعتدال وعلى النصف فى الحكم ، وتدلنا الرسائل الى أصدقاء ديون ومحاورة السياسى والقوانين على أن أفلاطون بعد أن تقدمت به السن وحنكته التجارب ، أخذ يميل شيئا فشيئا نحو ما كان يدعوه هو نفسه « بالمراتب الثانية » .

ان الغرض من محاورة السياسى هو تعريف رجل الدولة . فاذا أخذنا النظرية على حرفيتها ، كان العلم دليلا لا يخطئ على الحاكم الصالح . واذ كان الحاكم طبيب المدينة فليس يعنيه أن يتقيد بالقواعد والقوانين التى يحول ما فيها من اعنات وصلابة من المواءمة بينها وبين واقع الحياة الجارية . وليس ثمة قانون الا ما لديه من علم محكم

مرن صادق على الدوام . وهو فوق ذلك لا يلتزم تأييداً من أحد : فله ان يستخدم الاقناع أو القوة حسبما تقتضيه الحاجة فان خيرية فعله ستكون معياراً لما له من حق في جميع الأحوال . والحكومة التي يرأسها هي وحدها الحكومة الكاملة ، أما الحكومات الأخرى فليست سوى عصابات .

ها هي نظرية متسقة تمام الاتساق وانا لنجد أفلاطون الذي كان يكلف بالتوسع فيها يصنف هذه الشيع أو هذه الهيئات الموجودة : فان وصفه للديمقراطية المتطرفة هو هجاء لاذع نستشعر فيه أيضاً الأثر السيئ الذي تركته محاكمة سقراط في نفس أفلاطون . ولكن أنى لنا بهذا الملك النموذجي ؟ « فما حدث قط أن نشأ ملك في المدن كما يحدث في خلايا النحل ثم أصبح بمجرد ظهوره متفرداً بقوة في الجسم وأصالة في النفس » سينصب الناس يقيناً هذا الملك الخير الذي لا يخطئ ولكن أحداً منهم لا يستطيع أن يعتقد أن انساناً له من القدرة ما يعينه على حمل هذا النفوذ الذي لا حد له . فهم يدركون أن الرئيس الذي لا يقف في سبيله شيء سينتشي بسطوته الى الخد الذي يفقد معه كل ما لديه من روية وما يتحلى به من صفات انسانية . فلزام علينا اذن أن نخضع لفريق أكثر تواضعاً وأن نقدر حكومة القانون .

وتذهب الرسائل الى نفس هذا المذهب « ان الخضوع لله أمر مألوف ، ولكن الخضوع للانسان يخرج بنا عن جادة الصواب » . وترسم هذه الرسائل لأحزاب سراقوزا على اختلاف أنواعها خطة حكومة يسودها الوئام والسلام . فينبقى أن نعيد العمران الى المدن اليونانية وأن نجتمع بينها في اتحاد كبير . وذلك بأن يحكم سراقوزا ، وهي الأولى بين المدن المتساوية ، ثلاثة ملوك يمثل كل منهم أحد الأحزاب

التي تتنازع الحكم . تكون لهم سلطات دينية على وجه الخصوص ؛ لأن السلطة المدنية سيشرف عليها خمسة وثلاثون من القائمين على رعاية القوانين . وسوف تتحقق بين جميع المواطنين مساواة ومشاركة تامة في الحقوق . أيعذو هذا النظام السخى أن يكون حلما من أحلام الفيلسوف ؟ . ومع هذا فهو يشبه الى حد كبير ذلك النظام الذى حققه تيموليون الكورنثى بين عام ٣٤٥ وعام ٣٣٧ ق م . وقد وجد أفلاطون سياسته المثل فى هذا البطل الذى اعتزل الديكتاتورية وأثر أن يموت كفرد بسيط ، بعد أن حرره صقلية وأقام ديمقراطية معتدلة فى سراقوزا .

وأخيرا ، فقد كرس أفلاطون السنين الأخيرة من حياته فى تأليف سفر ضخيم هو معاورة القوانين التى لم يتسع له الوقت لأن ينشرها بنفسه . عرض فيها فى تفصيل نموذج الحكومة التى وان لم تكن أفضل الحكومات الا أنها « تقرب من أفضلها قدر المستطاع » . ومعاورة القوانين هى قانون دولى دينى مدنى وجنائى . ويمهد لكل قانون فى هذه المعاورة بعرض للدوافع والروادع الأخلاقية ، ذلك أن المشرع الأفلاطونى هو مرب : يشرح ويقنع قبل أن يأمر .

لم يتخل أفلاطون عن مثله الأعلى . فما الذى تتطلبه اذن اقامة دستور كامل فى أسرع وقت ممكن ؟ . الأمر يتطلب وفاقا بين طاغية شاب فيلسوف ومشرع حكيم . ولكن أفلاطون كان يزداد اقتناعا بأن الطاغية الفيلسوف لا وجود له وأن السلطة المطلقة من شأنها الفساد . ألم يكن أفلاطون يفكر حقا فى الماضى البعيد ، ألم يعدل من موقفه حينما أخذ على بعض مشرعى العصور الأولى اغراقهم فى الخيال بقولهم :

« ان دين الوعد كفيل بأن يحصر في حدود عادلة رغبات أمير شاب ورث سلطة يمكن أن تصل به الى الطرفين ؟ » ألم يكن كذلك يريد « ألا نقيم سلطة ما لم تكن معتدلة » . وهو يكافح الى جانب ذلك كل حرية متطرفة . أما الدستور الحكيم ، فيجب أن يجمع بين الملكية والديمقراطية في آن واحد ، أما الابتعاد عن هذا الوسط العدل فمعناه أن ننحو نحو الاستبداد كما فعل الفرس ، أو ننحو كما فعل الآثينيون نحو الفساد المطلق . ويقول أفلاطون عن الديمقراطية الأثينية انها أصبحت مهزلة مسرحية . .

أما الحكومة التي يقترحها على غرار الأرستقراطية اللاقوديمونية وديمقراطية سولون فهي كما كان يقال في القرن التاسع عشر حكومة دستورية مقيدة . وتتكون من سبعة وثلاثين مشرفا على القوانين وثلاثة قواد ومجلس شيوخ أعضاؤه ثلاثمائة وستون . ينتخب المواطنون جميعا كل هيئة من هذه الهيئات . ولكن المواطنين ينقسمون الى أربع طبقات تبعا لما يفرض على ثرواتهم من ضرائب ، ولما كان التصويت لزاما على الطبقتين الأوليين فقط ، فان امتناع الطبقتين الأخريين في أغلب الأحيان عن التصويت سوف يخفف من حدة نظام الانتخاب العام . ويدلنا الدور الذي تلعبه الملكية في هذا النظام على أن أفلاطون قد نبذ الشيوعية بل ونبذ الشيوعية الجزئية التي نادى بها في معاورة الجمهورية ، وهو وان كان لا يزال ينظر اليها باعتبارها المثل الأعلى الا أنه قد علم أن تطبيقها متعذر « بالنسبة لأناس ولدوا ونشأوا في مثل الحال التي هم عليها اليوم » فعاد الى اقرار الزواج وجعله فيرضا على كل مواطن . وكانت الأخلاق منحلة

فى عصره الى حد لم يجرؤ معه على تشريع قوانين تمنع الحب
المنافى للطبيعة . ولكنه يحكم عليه حكما قاسيا وباستناده
الى اجراءات متزنة يريد أن يخلق رأيا عاما يرى فى هذه
الرديلة عارا وفحشا . وان ما قاله عن الغاية من الزواج
وما له من قيمة يجعلنا نفكر فى أغلب الأحيان فى وصايا
الأخلاق المسيحية .

ولكن ويا للأسف لا يزال أفقه محصورا بالحدود الضيقة
التي كانت فى المدينة اليونانية ، فهو يذهب الى حد القول
بأن الدولة يجب أن تحتوى خمسة آلاف وأربعين أسرة فقط ،
وأن تتخذ الحيلة لمنع تزايد السكان السريع . ولكنه كان
يعنى هنا الهجرة بوجه خاص ، ولم يذكر شيئا كما ذكر فى
محاورة الجمهورية عن القاء الأطفال فى المراء أولئك
الأطفال الذين لا ترى الدولة حاجة الى تربيتهم . وان المراء
ليقشعر حين يصف أفلاطون وأرسطو فى غير ما حرج طرائق
عملية كهذه . ولا غرو ، فقد كانت مثل هذه الطرائق شائعة
فى اسبرطة وفى أثينا نفسها . ويبدو أن الحياة الانسانية
لا يمكن أن تكون لها قداسة قبل أن يفتديها مخلص الهى .

٥ - الأسس الروحية للدولة

وبالرغم من ذلك ، أحب أفلاطون الأطفال ورغب كذلك
فى أن يظل الطفل بين أحضان ظئره وسيتوفر مشرعنا على
الاهتمام بصحة الأطفال وعلى ما يلبس التكيف الجسمى
والأخلاقى من أزمات وسيهتم بالألعاب وبالرياضة البدنية
وبالرقص والولائم . نعم سيعنى بهذا كله وسيدخل فى

التفصيلات ويعتذر مبتسما عند الحاجة عن تلك التدقيقات الصارمة . وكان يقر بما للكوميديا من فائدة في تقويم الأخلاق والعادات ، ومع ذلك لم يكن أقل اعترافا بأن حرفة مؤلفي المهازل حرفة دنيئة حرمها على المواطنين . وهو وإن لم يستبعد شعراء التراجيديا إلا أنه قصد في وضوح إلى عدم السماح لهم « بأن يروجوا بين الناس تعاليم تتعارض مع ما يبشر به المشرع » . فجعل هذه الأشعار تمر اذن « على الرقابة قبل أن تنشر » . وكان يصر على تدريس علم الأعداد والحساب والهندسة والفلك : فيجب على كل رجل حر أن يعرفها معرفة ابتدائية على الأقل . وأخيرا ينشئ أفلاطون وزارة للتعليم : فكان « على الرؤساء أن يقترحوا في نهاية كل خمس سنوات من بين المشرفين على القوانين من يتوسمون فيه القدرة على تولى أمر تربية الشباب » .

ولم ينس أفلاطون الطابع الفلسفي والاجمالي في التعاليم التي لقنها لحراس المدينة المثلى في محاوراة الجمهوريّة . وفي هذه المحاوراة كذلك يجب أن « يبين صفوة الحراس عن ذكاء » . فلا ينبغي عليهم أن يقفوا عند تخصيص العلوم التي يتلقاها الأحرار في عمق فحسب ، بل عليهم فوق ذلك أن يلقوا بالآلما بينها من علاقات متبادلة وخاصة علاقتها بالفضيلة وبالجمال وبالخير . فهو في آخر الأمر العلم الذي يتوج العلوم الأخرى وهو ما يسميه أفلاطون « بالالهيات » . فعلى رؤساء الدولة أن يبرزوا في هذا العلم « إذ لا يمكن أن نعهد بحكم المدينة إلى أناس لا يعرفون كل ما يمكن معرفته عن الآلهة » . ذلك أن الجهل بمثل هذه الأمور يورث الاتحاد، وهذا بدوره يحمل على العنف وعلى الاستهانة بالقوانين .

الا أن هذا الجهل ويا للأسف شديد الانتشار • ويعزن أفلاطون ويحنقه أن يرى من الضرورة بمكان أن تثبت اليوم للشباب وجود الآلهة ووجود العناية الالهية • أصبح هذا الأمر لا محيص عنه ما دامت هنالك نظريات تدعى أنها نظريات علمية قد لقنت كل غاد أن العالم ليس نتيجة عقل الهى ؛ ولكنه من صنع الطبيعة والصدقة فحسب !! •

شغلت هذه المسائل أفلاطون منذ أمد بعيد • فهاجمها فى فقرات من محاوره السفسطائي • وذكر فى محاوره فيليبوس « ان نفسا عالية وعقلا ساميا يدبر نظام هذا العالم » • بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك : فقص فى محاوره تيمائوس قصة حدوث هذا العالم أو الله المرئى صورة الله المعقول • ان الله خير ولما كان منزها عن الجسد ود لو يكون كل شىء على صورته الى أقصى حد • فتناول المادة اذن وهى فى فوضى بالغة وظلمة مضطربة ، وهذا ما جبلت عليه ، فنفخ فيها العقل والغائية وهكذا جعل منها نظاما وعالما وهو أحسن عالم وأكمل عالم ممكن •

ومحاوره تيمائوس محاوره علمية • يصحح فيها أفلاطون العلم المادى فى زمانه ؛ ليفيد منه فى تفسيره للكون وفى تفسيره للانسان • ويصحح فيها كذلك الكونيات القديمة وبدلا من أن يحذو حذو هذه الكونيات فيجعل أصل الأشياء مبدأ أعمى غير مرئى وبدلا من أن يقول بسبق السماء والأرض فى الوجود ثم يتبعهما بالآلهة وبالعقل الالهى ، قال أولا بعلة عليا وهى الله الذى خلق بفضله النفس التى تتصور النظام الأمثل فتفرضه على المادة • ولكننا لا نجد عند أفلاطون تعريفا واضحا لهذا الاله كالذى ينشده القراء الذين

ألفوا وضوح اللاهوت المسيحى : فهذا تعريف لم يصل اليه
 أى مفكر قديم سواء أكان سابقا له أم لاحقا عليه . ومع
 ذلك ، فإن الله الذى قال به أفلاطون هو الكائن المطلق والعقل
 الكامل والخير الشامل فى آن واحد . فلئن كان العالم الهيا
 فما ذلك الا « لأن الله يحل فيه » . وهذا الحضور الالهى هو
 النظام الذى أوجده عقله المبدع للنظام . « فحيث لا يوجد
 الله لا توجد الا الفوضى والتشويش » .

ليس الايمان بالله لدى أفلاطون مجرد مظهر . وليس
 هو تظاهر المصلح السياسى حين يلقن الشعب صيغا ليست
 صادقة الا باعتبار فائدتها الاجتماعية . فأفلاطون يؤمن بالله
 كما يؤمن بحقيقة وعدالة لا تتبدل . ولم يكن أقل من ذلك
 اعترافا بما للمعتقدات الدينية من حسنات وضرورات
 اجتماعية . ولم يقنع كذلك بالدعوة اليها ، بل أخذ يفرضها
 فرضا . ففى المدينة التى تصفها محاورة القوانين سيعتبر
 عدم الاعتقاد فى وجود الآلهة وفى عنايتهم وفى عدالتهم
 التى لا تخطىء ضربا من الاجرام فى حق الدولة . وسوف
 يحكم على المذنب بالسجن أو بالاعدام أو بالنفى المؤبد تبعا
 لشناعة الاثم الذى يقتترقه .

ولكن أفلاطون رفيق بغير المؤمنين الذين سلمت طويتهم
 وكانت لهم قلوب لا تعرف الزيغ ولا تقرب الظلم . وهو
 رفيق أيضا بالسذج ولا يضمن بالعفو الا على المخادعين
 المتدينين وعلى السياسيين وعلى الدجالين والسفسطائيين
 والطفاة . وأخيرا ، يعلن أفلاطون بأعلى صوته أن القوة عاجزة
 عن أن تفرض الحقيقة اذا لم يعاونها الاقناع بتأييده ، وهو
 يوقف كتابا بأكمله من محاورة القوانين هو الكتاب العاشر

على النصيح والاقناع • ولما لم يكن يتوجه هنا الى الفلاسفة وحدهم ، فهو يتحدث عن الآلهة بقدر ما يتحدث عن اله واحد ويسوق براهين في متناول الجميع : كبراهين نظام واجماع العالمين • ولكنه يفصل القول في برهان على درجة من العلم أعلى فضلا عن أنه مؤسس على ظاهرة مرئية : أعنى حركة السماء • كل حركة تفترض وجود محرك وتفترض سلسلة الحركات بأجمعها محركا أعلى • وهذا المحرك لا يتلقى حركته من شيء آخر ، فهو الذى يهب نفسه الحركة • ولما كان كائن واحد هو الذى يستطيع أن يحرك نفسه بنفسه وهو مبدأ لحياة نفسه ومبدأ لتنفس نفسه • فهناك اذن نفس تتولى حركات السماء • وهى لا مادية عاقلة ، خيرة • وهى قدسية تشمل عنايتها كل شيء وتنتظم كل صغيرة وكبيرة فى العالم المادى وفى العالم الأخلاقى فى سبيل الخير العام •

هنالك قطعا نضال أبدي بين الخير والشر ، وان الشر ليظهر غالبا بمظهر الظافر فى الدنيا • ولكن الآلهة يتحالفون فى هذا النضال الذى يحتاج الى « تيقظ بارع » • ولئن نذهب الى الاعتقاد بأن الآلهة قد يحيدون البتة عن سبل العدالة أو يتسامحون ان دفع اليهم مال أو تملقهم الأشرار « شأن الكلاب يستهويها لطف الذئب » • فليس الى حب الله من سبيل الا واحدة هى « أن نعمل بكل ما فينا من قوة كي نتشبه به » • وان القصص ليسوق اليها حديث ملائكة أطهار كانوا فى عهد كرونوس يحكمون بنى الانسان ، على نفس النسق الذى كان يحكم به بنو الانسان الحيوانات المتأخرة عنهم فى الرتبة • ولم يعد الله ينيب عنه أولئك الرعاة الأطهار ، ولكن أصبح الجزء الخالد من أنفسنا ، أعنى العقل ، يصدر

عنه • فالقوانين التى يملئها علينا العقل لنتبعها فى حياتنا العامة وفى حياتنا الخاصة تقتدى بقوانين العناية الالهية ، وتنحو مثلها نحو نشر النظام والعدالة فى كل مكان شاخصة الى الخير الأسمى على الدوام • الا ان اطاعة هذه القوانين هى بالنسبة للفرد فى سلوكه فى الحياة وبالنسبة لأولى الأمر فى حكم المدينة القاعدة الوحيدة المأمونة • لأن الله وحده هو الذى ينصب الميزان المقسط للأشياء وليس الهوى ولا تعسف بنى الانسان • وكذلك يكرر أفلاطون فى هذا المؤلف الأخير وهو دستور المفكر ودستور رجل الدولة ، ذكر تلك القاعدة التى تلخص مناحى تفكيره الأساسية وهى « اتبع الله ، اقتد بالله » • أما العبارة التى يستعيرها من « التراث القديم » كى يتمكن من التعبير عن حضرة الله الشاملة وعن فعل الله غير المرئى ، فانها تنطبق تمام الانطباق على فلسفته نفسها : فالله فى فلسفته هو حقا « البداية والوسط والنهاية » •

حياة أفلاطون بعد وفاته

توفي أفلاطون في سن الثمانين ، عام ٣٤٧ ق.م أثناء ولاية تيوفيلوس . وكان ذلك ، كما نخبرنا قصاصو الحوادث ، « العام الثالث عشر للملك فيليب » اذ ان انتباه التاريخ أخذ يتحول في تلك اللحظة نحو من سلب المدن اليونانية استقلالها الذي طالما ظلت غيرة عليه . ولقد انتفعت المدن اليونانية بهذا الاستقلال في خلق مدنية لا مثيل لها ؛ ولكنها استخدمته أيضا في احداث التمزق الداخلي في حروب أخذت تتجدد على الدوام فأطلق أفلاطون عليها بحق اسم الحروب الأهلية . استمرت هذه الحروب حتى أضنت المتحاربين . وكانت أثينا قد أعلنت الحرب على حلفائها أنفسهم ، في اللحظة التي اغتصب فيليب منها مدينة أميبوليس عام ٣٥٧ ق.م . ثم تلت « الحرب الدينية الحرب الاجتماعية » : نشأت عن نزاع يتعلق بقطعة أرض من ممتلكات هيكل دلف فسبب هذا النزاع انقسام اليونان الى قسمين ، وظل هذا الانقسام مستمرا خلال عشر سنوات ابتداء من عام ٣٥٦ حتى عام ٣٤٦ ق.م . وقد استخدم فيليب هذا الانقسام في التقدم بغزواته . وكان قد استولى قبل موت أفلاطون بعدة شهور على مدينة أولينثوس التي أساءت أثينا

الدفاع عنها رغم تأنيب ديموستين الشديد • وسوف يصبح سيدا لليونان بعد خرونيه بعشر سنوات •

ولئن كان العصر الذى حياه أفلاطون غنيا بالحوادث ، فان حياة أفلاطون نفسها كانت مفتقرة الى الأحداث • فاذا لم نحكم عليها الا باعتبار الفوز الخارجى لبدت كما لو كانت حياة معدمة • ظل أفلاطون حتى الثلاثين تقريبا ينحو نحو تحقيق ما بدا غاية طبيعية له ونحو المشاركة جديا فى السياسة الأثينية • ولكن موت سقراط بين له أن كل مجهود للعمل بطريق مباشر مقضى عليه بالفشل • كما فتح هذا الموت عينى أفلاطون على الاصلاح العقلى والأخلاقى ذلك الاصلاح الذى تتطلبه السياسة المنتجة حقا كشرط متقدم عليها • فقنع بأن يتوارى فى الأكاديمية وأن يعد عن طريق تعاليمه ومحاوراته ، مستقبلا بعيدا غير واضح • ولكن طالما تمنى أن يسلك طريقا أقصر وأن يصل الى سلطان يكرس نفوذه للفكرة ويحقق الانقلاب المنشود دون نضال • وقد سنحت له الفرصة أخيرا لأن يحقق مملكة الانصاف على هذا النحو • ونعرف كيف استجاب فى سخاء لذلك النداء وكيف تتبع المحاولة فى صلابة وكيف انتهت هذه المحاولة مع دنيس الأصغر ثم مع ديون الطالب الأمثل ، بفشل محزن • ولم تكن الصدمات التى انتابت وطنه الخاص حيث عكف على العمل أخف من ذلك وطأة على نفسه ، وهو وان قسا على وطنه الى حد ما فى بعض الأحيان ، الا أنه كان يحبه الى حد لم يكن ليتحمل معه انهياره •

كان فشل أفلاطون فى الناحية العملية دية لتأثيره على التفكير على مر العصور • فقد أسس مدرسة للعلم السياسى

لكى يكون للمستقبل من يتولون انقاذ المدينة • ولم يكن ذلك العلم السياسى فى رأيه الا تطبيقا لما كان يسميه العلم السامى أو الفلسفة التى تأتلف فى وحدتها وتتوج جميع العلوم • كانت الأكاديمية اذن مركزا حقيقيا للدراسات العالية وهى أول نموذج لجامعاتنا الحالية وظلت الأكاديمية قائمة حتى القرن السادس بعد ميلاد المسيح • ولم تكن فى ذلك الحين سوى مجتمع صغير للوثنيين منعزل وسط عالم مسيحي • فأغلقت بأمر من جستنيان عام ٥٢٩ • ولكنها كانت قد كونت عددا كبيرا من أساتذة مدرسة الاسكندرية الكبرى التى نقلت فى القرن السابع الى القسطنطينية ، فساعدت فى الامبراطورية البيزنطية على حفظ تراث العلم اليونانى وعلى حفظ الروح الأفلاطونية الى حد ما •

وكان مجال هذه الروح لأن تحيا خالصة يكون ضعيفا لو أنها انتقلت عن طريق تراث المدارس فحسب • اذ ان من خلفوا أفلاطون مباشرة وهما: أسبيريوس وأكسينوقراط قد بدأ فى اضعاف هذه الروح • كما أن الأسماء المبرزة بين سلسلة أساتذة الأكاديمية كانت نادرة جدا • ثم ان أفلاطون الذى نظر الى التعليم باعتباره تبادلا بين نفس وأخرى ، لم يكن ليثق ثقة تامة الا فى الكلم الحى • ولم تكن مهنة الكتابة بالنسبة اليه الا هواية نبيلة ، وما الكتاب الا كنز للذكريات العذبة للمعلم ولتلاميذه • وعلى ذلك ، فالمحاورات التى كتبها « وهو يلهو » ، تلك المحاورات التى تفيض بالشعر الرائع وبحرارة فى التفكير لا نظير لها هى بمثابة المتمم الحقيقى لتعاليمه ولعمله • ولم تفتأ المحاورات توجه من أرادت خلقهم أو اصلاحهم من شعراء وفنانين وعلماء ومصلحين سياسيين

حتى خبت ومضتها الدينية والصوفية في يوم ما وامتصتها
ومضة أزكى منها هي ومضة كما ذكر أفلاطون نفسه ،
قدسية حقا .

لم يقصر آباء الكنيسة في بيان الثغرات ومواضع
الضعف التي يحتويها المذهب الأفلاطوني : كتسامحها في أمر
الاشراك بالله وتقليلها من شأن فعل الخلق بأن قالت بالوجود
السابق للمادة وزيفها الأخلاقى في الاشتراكية وحين
تفاضت تفاضيا أدبيا خطرا عن الحب الكافر . ولكن أنى
لآباء الكنيسة ألا يتلقفوا في لهفة المساعدة التي قدمتها لهم
نظريات أفلاطونية متعددة في اللحظة التي كانوا ينشدون
فيها حليفا لهم في عملهم ان في الدفاع أو في الهجوم ؟ - -
ويشير باسكال بهذه العبارة في مؤلفه « أفكار »
حيث يقول : « أفلاطون باعتباره ممهدا للمسيحية » .
ويقول كل من يوزيب دو كازارى والقديس أوغسطين : « انه
أقرب إلينا من أى فرد آخر » . ويقولان كذلك ان « الأفلاطونية
دهليز للمسيحية » . ويسر كل من القديس أوستين وكليمان
الاسكندري وأورجين والقديس بازيلوس والقديس
جريجورى دونازيانز أن يجدوا لدى أفلاطون هذا التقديس
وذلك التبشير بالحقيقة . وخصص له أيوزيب ثلاثة كتب
برمتها من مؤلفه « تحضيرات في الانجيل » وقد استشهد
بنصوص من المحاورات بكثرة جدا ، الى حد اختفت معه
كلماته الخاصة وراء كلماتها .

وجود الله والعناية الالهية بل وحدس بعقيدة التثليث
والخلق وخلود النفس والصراع الأبدى بين البدن والروح
وتسخير قوة الدولة لخدمة الدين ، تلك هي الأشياء التي

طالب للآباء أن يجدوها لدى أفلاطون . ويذكرون في بعض الأحيان أنه إنما اختلس هذه النظريات من موسى ويذكرون في أحيان أخرى أنه إنما توصل إليها عن طريق معاونة الهية خاصة . وكيف لا يدهشون وفيها من التشابه ما يصل الى حد التشابه في الأسلوب نفسه ؟ . . . فقد طالعوا في محاورة القوانين القول بأن عدل الله يصل أبدا الى كل شيء بهما بعد « فلن تنجو منه البتة حتى اذا بلغت من الدقة ما يمكنك من النفاذ الى أقصى غور الأرض أو كنت من العظم بحيث ترتفع الى أعالي السماء » . وأعجبته في الجمهورية صورة العادل مهضوم الحق المضطهد المعذب . وطالب لهم أن يلاحظوا لدى أفلاطون ولدى القديس بولس معا « القانونين المتعارضين اللذين يصطرعان في أعضائنا » . وكذلك حينما تذكر محاورة القوانين وتذكر محاورة تيتاوس من قبلها أن ثمة صراعا لا يفنى بين الخير والشر ، وأن لنا من الله حليفا في هذا الصراع ؛ أليس في ذلك صياغة للفكرة الرئيسية من كتاب « مدينة الله » . . . !

لم تعرف العصور الوسطى اللاتينية في صورة جليلة من محاورات أفلاطون الا محاورة تيتاوس وتعليقا على هذه المحاورة لا يوضحها على الاطلاق . إنما عرفوا المذهب عن طريق وساطات شديدة الاختلاط أو عن طريق النقد الأرسطي . ولكن القديس بونايفنتورا ، الذي يعتبر الفلسفة « تصاعدا بالنفس نحو الله » قد احتفظ عن طريق القديس أوغسطين بشيء كثير من الروح الأفلاطونية . ولم تكن هذه الروح معدومة على الاطلاق في بناء المذهب التوماوي . ومن أعظم من تأثرهم القديس توماس الى جانب أرسطو ، دنيس

الملقب بالأريوباجي ، ويأخذ عنه تيارا من الأفكار صادرة بدورها عن منابع أفلاطونية وأفلاطونية محدثة • أما مؤلف بنوزوجزلي «انتصار القديس توماس» ، فيعبر تعبيرا جيدا ، حينما يضع أرسطو عن يمين سيد الفلسفة المدرسية وأفلاطون عن يساره ، عن الأثر المشترك وأهمية كل من هاتين القوتين •

ان أهداف المذهب الأفلاطوني أبعد من أن ينالها حد ؛ لأنه روح أكثر من أن يكون مذهباً ، وهو يتحد في يسر مع كل تفكير يقصد الى مهاجمته • ولما كان مذهباً مدققاً في مناهجه ، واضحاً منقبا في عباراته المهمة ؛ فقد رحب بل آثار راغبا النقد والتصحيح ، اذ يعتبر أن كل علم انساني وكل كمال انساني شيء لم يصل الى حد الاكتمال • وكان حب استطلاع الذي لا يعرف النصب يتلطف بكل عمل جديد • وقد سار بطريق في البحث سديدة نحو أفق سلس ونحو مثل أعلى هو على الدوام غير متناه في السمو عما يحققه الحاضر • ويعرف هو نفسه بأنه حب لا يعرف الارتواء كلما زاد امتلاكه ازدادت رغبته • وهكذا ، يظل قابلاً للتقدم المتصل ؛ لأنه يجعل من السماء منزلاً للحقيقة العليا ومحلًا للخير الأسمى •

نبذة عن المؤلف

أوجست دייيس

ولد أوجست دייيس ببلدة مانس بفرنسا عام ١٨٧٥ وتلقى تعليمه بالمدارس الدينية ، ودرس الفلسفة وأصبح أستاذا لها بالكليات الكاثوليكية بغربي فرنسا . وقف المؤلف جهوده على دراسة أفلاطون وفلسفته وآثاره حتى أصبح حجة في هذا الباب . وتعتبر المحاورات والمؤلفات التي حققها ونشرها مصادر يوثق بها ويعتمد عليها . فقد نشر كتابه « تعريف الموجود وطبيعة المثل في محاورة السوفسطائي لأفلاطون » La définition de l'être et la nature des idées dans le Sophiste de Platon (طبعة الكان عام ١٩٠٩) . كما نشر نفس العام كتاب « الدورة الصوفية » Le Cycle Mystique (طبعة الكان) . ونشر من محاورات أفلاطون : « بارمينيدس » سنة ١٩٢٣ و « تيتاوس » سنة ١٩٢٤ و « السوفسطائي » سنة ١٩٢٥ وقد ظهرت كلها في مجموعة جيوم بوديه . ثم نشر في عام ١٩٢٧ مؤلفا ضخما في جزئين عن أفلاطون أسماه « حول أفلاطون » Autour de Platon ، أما الكتاب الذي ترجمته فقد نشره عام ١٩٣٠ ضمن مجموعة من الكتب ألفها كبار المؤلفين وأصدرتها إحدى دور النشر الفرنسية تحت عنوان « فطاحل المفكرين » Les grands coeurs . وقد ساهم الأب أوجست دייيس في مجموعة البحوث التي نشرها

بول تانرى بعنوان « تاريخ العلم الهيلينى » Pour l'histoire
 de la science hellénique Paul Tannery (انظر : الطبعة
 الثانية ، باريس سنة ١٩٣٠) • ثم نشر مقدمة لجمهورية
 أفلاطون قدم بها للترجمة الفرنسية التى أنجزها الأستاذ
 شامبرى Chambry (مجموعة جيوم بوديه سنة ١٩٣٣) ،
 كما أعد الطبعة الثانية لكتابه « تعريف الموجود الخ • • »
 (مكتبة جوتيه فلار سنة ١٩٣٢) • وقد تولت اخراج هذه
 الكتب جميعا كبريات دور النشر الفرنسية •

القراء في هذه السلسلة

جوزيف ديموس
سبع معارك فاصلة في المعصور
الوسطى

د. لينوار تشامبرز
صياغة الولايات المتحدة
الأمريكية أزاء مصر

د. جون شينلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما في
السلة

بيير البير
الصحافة

د. غريال وهبة
أثر الكوميديا الإلهية لهابتي
في الفن التشكيلي

د. رمسيس هوش
الذهب الروسي قبل الثورة
للباشوية وبعدها

د. محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم
متغير

فرانكلين ل. باومر
الفكر الأوربي الحديث ٤ ج

شوكيت الربيعة
الفن التشكيلي المعاصر في
لوطان العربي

د. محسن الدين أحمد حسين
التنشئة الأسرية والإبناء الصغار

ج. دانلى أندرو
تقنيات الفيلم الكيرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصى

د. جومان درشمر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأيّن توجد

طائفة من العلماء الأمريكيين
مبادرة الدفاع الاستراتيجى
حرب الفضاء

د. السيد عليوة
أدلة الصراعات الدولية

د. مصطفى عنانى
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء
والمحدثين

مختارات من الأدب اليابانى
« الشعر - الدراما - الحكاية -
للقصّة القصيرة »

يون شول واسبيت
القوة النفسية للأهرام

د. صفاء خلوصى
فن الترجمة

رالف ثى مانلو
تواستوى

فكتور برومبير
ستتال

فيكتور هوجو
رسائل وأحاديث من الخلق

فيرتر هيرتدورج
الجزء والكل - محاورات في مختار
الغزياء للنزوة

سنفى هوك
التراث الغامض - ماركس
والماركسيون

ف. ح. لينكوف
فن الأدب الروائى عند تواستوى

هادى نعمان البهتّى
أدب الأطفال - فلسفته - لغته
وسائطه

د. فمة رحيم المزوى
تعدد حسن للزيات كتابا وثائقا

د. فاضل أحمد الطائى
أعلام العرب في الكيمياء

جلال المشرى
فكرة المسرح

هنرى باربوس
الجميم

د. السيد عليوة
صنع القرار السياسى في
منظمات الإدارة العامة

جاكوب برونوفسكى
لتطور الحضارى للإنسان

د. روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الأخلاق
للأطفال ؟

كاتى ثير
قريبة النولجن

١- سبنسر
الموتى وعالمهم في مصر
القديم

ناهرم بيتروفيتش
العمل والطب

برتراند رسل
عالم الإعلام وتخصص اخرى
ي- رانر تكيانوم جابوتسكى
الانثروبنيات والحياة الحديثة

أليس مكسلى
نقطة مقابل نقطة

ت. و. فريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

د. ج. فريس و١ ج. نيكستر
فروع العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليستريدل راي
الغرض الفاضلة

والتر آلن
الرواية الإنجليزية

لويس فارجاس
المراقب الى فن المسرح

فرانسوا توماس
آلهة مصر

قبرى حسى واحرور
« الإنسان المصرى على الشاطئ

أولج فولكف
القاهرة مئنة ألف ليلة وليلة

مادام النحاس
للهدية القومية في السينما

فريد وليام ماكروال
مجموعات اللقود - صيانتها
تصنيفها - عرضها

عزيز الشولان
الموسيقى تعبير نفسى ومطلق

د. محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

نيلان ترماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
« الإنسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر
أصله وبدايته

انور المعداوى
على محمود طه الشاعر والإنسان

جابريل باير
تاريخ ملكية الاراضى فى مصر
الحديثة

انطونى دى كرسبى وكينيث مينوج
اعلام الفلسفة السياسية
المعاصرة

دوايت سوين
كتاية السيناريو للسينما

زاليسكى ف. س
الزمن وقياسه (من جزء من
البليون جزء من الثانية وحتى
مليارات السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوى
اجهزة تكييف الهواء

بيتر رداى
الخدمة الاجتماعية والانضباط
الاجتماعى

حوزيف دامموس
سبعة مؤرخين فى العصور
الوسطى

س. م. بورا
التجربة اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة فى مصر
الاسلامية

رونالد د. سيبسون ونورمان د.
اندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د. انور عبد الملك
الشوارع المصرى والفكر

ولت وليمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

لمرد. س. هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية
من الامثال الشعبية فى عهد
محمد على

الان كاسبيار
التنوق السينمائى

سامى عبد المعطى
التخطيط السياحى فى مصر
بين النظرية والتطبيق

هريد مويل وشاندرا ويكراما سبيج
البذور الكونية

حميد حلمى المهندس
براما الشاشنة (بين النظرية
والتطبيق) للسينما والتلفزيون

روى روبرتسون
الهيرودوت والابيض والزهرا فى
المجتمع

دور كامر ماكلينتوك
صور افريقية . نظرة على
حيوانات افريقيا

هاتم الحساس
تجيب محفوظ على الشاشنة
د. محمود مرسى طه

الكومبيوتر فى مجالات الحياة

بيتر لورى
المقدرات حقائق نفسية

بوريس فيدوروفيتش سيرجيد.
وقائى الاعضاء فى الالف
الياء

ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد لدرتون
تربية اسماك الزينة

احمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى

جون . ر. بورر وميلتون جولدينه
الفلسفة وقضايا العصر ٣ ج

ارنولد توينبى
الفكر التاريخى عند الاغريق

د. صالح رضا
ملاحج وقضايا فى الفن
التشكيلى المعاصر

م. ه. كنج ونخرون
التفضية فى البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

.. السيد طه السيد ابو سنديرة
الحرف والصناعات فى مصر
الاسلامية منذ الفتح العربى
حتى نهاية العصر الفاطمى

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين
للكون ٣ ج

اريك موريس والان هو
الارهاب

سيرل الدير
اختاتون

ارثر كيمستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود
اليوم

ب. كومان
الاساطير الاغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسى - تحليل
المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة .
المجلس الاعلى للثقافة
الدليل الجيولوجرافى
روائع الاداب العالمية ج ١

روى آرمز
لغة الصورة فى السينما المعاصرة

ناجوى متشيو
الثورة الاصلاحية فى اليابان

بول هاريسون .
العالم الثالث غدا

ميكايل الوبى وجيسس افلوك
الاقتصاد الكبير

آدامز فيليب
دليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ القلوب

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الاوركستراالى

ابو القاسم الفردوسى
الشاشنة ٢ ج

بيرتون بورتز
الحياة الكريمة ٢ ج

جاك كرايس جونيور
كتابة التاريخ فى مصر القرن
التاسع عشر

محمد فؤاد كوبرلى
قيام الدولة العثمانية
تونى بار
التمثيل للسينما والتلفزيون

تاجور ، شين ين بنج وآخرون
مطافرات من الاداب الآسيوية

ناصر خسرو علوى
سفرنامه

نانين جورديمر وجريس اوجوت
وآخرون
سقوط المطر وقصص اخرى

احمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى
٧ ج

جان لويس بورى واحرون
فى النقد السينمائى الفرنسى

العثمانيون فى اوربا
بول كرلز

موريس بيز براير
صناع الخلود

روجموند مير
بماليات فن الإخراج

جوناثان ريتي سميث
الحملة للصليبية الأولى وفكرة
الحروب الصليبية

الفريد ج بتلر
الكنايس القبطية القديمة
مصر ٢

ريتشارد شاحت
رواد الفلسفة الحديثة

تراسيم زرادشت
من كتاب الأصنام المقدس

الحاج يونس المصري
رحلات فارقيما

مربرت ثير
الاتصال والتهيئة الثقافية

برمراند راسل
السلطة والفرد

بيتر بيكرلر
السياسة الخيالية

انوار - ميرى
النقد السينمائي الأمر

مفتاح نوبس
مصر الرومانية

سيفر اورموند
انقاريج من شتى جوانبه ٣

موسى مزج واحسرو.
السياسة العربية من الخليج الى
المحيط

هاجر بكار
لهم يصنعون البشر ٣

سامر محمد الحمر.
مأسفريخت

بردر كريم
من هم القتل

ج م فريد
لكتاب الحديث وعالمه
٢

وريال عبد الك
حديث النهر
من روائع الآداب الهندية

لوريتز بود
مخل الى علم اللغة

سمو عظيموف
الشمس المتحركة
اسرار السوبر نوبا

رجريد رود
ما بعد الصداقة

د بيترود بودج
لازهر في ألف عام

ستيفن والسيمان
الحملات الصليبية

د ج. ولز
عالم تاريخ الانسانه
٤

جوستاف جرونيياروم
حضارة الاسلام

د عبد الرحمن عبد الله الشيخ
حلة بيروت الى مصر والحجاز
٢

جلال عبد الفتاح
للكون ذلك المجهول

ارنولد جزل واخرون
اطال من الخامسة الى العاشرة
٢

بادي اونيمود
افريقيا - الطريق الآخر

د محمد زينهم
فن الزجاج

برمسلاو مالبورفستر
السحر والعلم والدين

اسم متر
الحضارة الإسلامية

فانس بكارد
الهم يصنعون البشر

عبد الرحمن عبد الله الشيخ
: مات رحلة هاسكو ناجاما

بهرى شاموس.
كونفا المتعد

سومدار
الفلسفة الجوهرية

مارتن مار كرمند
حرب المستقبل

فرانسيس ج برخير
الاعلام التطبيقية

عبد مباد
بحرية المصرية من محمد عبو
للسادات

ج. كارميل
تسيط المفاهيم الفلسفية

برماس ليههارت
من الماي والبانترومي

انورد سوبود
للتفكير المتجدد

ويليام ه ماثيو
ما هي الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيناريو في السينما الفرنسية

بول وارن
خفايا نظام النجم الأمريكى

جورج ستاينر
بين كولستوى ودوستويفسكى
٢

يانكر لاميرين
الرومانتيكية والواقعية

احمد سامى عطا الله
الفيلم التسجيلي

جوزيف بيس
رحلة جوزيف بيس

ستانلى جيه سولومود
متواع الفيلم الأمريكى

مارى ب ناش
الحمر والبيض والفسو

جوزيف م برجر
فن الفرقة على الافلام

كريستيان بيروش موبلكو.
المرأة الفرعونية

جوزيف بيدمام
مجر تاريخ العلم والحضارة
فى الصين

ليوناردو دانشى
نظرية التصوير

ج. ه. حيد
غورز الفراعنة

رونولف فون هابسبيرج
رحلة الأمير رنولف الى الشرق
٢

مالكوم براستري
الرواية اليوم

وليم مارشيس
رحلة ماركو بولو ٢

هدرى بيرين
اريخ أوروبا فى المصور للوسلو

بيفيد شمير
نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وأفاق المستقبل

يوناك داليد لانج
بحكمة والجئون والعمالة

كارل بوير
محا عن عالم المخل

مورمان كلارك
لاقتصاد السياسى للعلم
والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد أطلالات على الزمن الآتى	وتفرد مولر كالات ملكة على مصر	روبرت سكواز واخرون أفاق أدب الخيال العلمى
ممدوح عطية البرنامج التوى الاسرائيلى والامن القومى العربى)	جيمس هنرى برستد تاريخ مصر	ب. س. ديفيز المفهوم الحديث للمكان والزمان
د. ليوبوسكليا الصب	بول دافيز العلاقات الثلاث الاخيرة	س. هوارد اشهر الرحلات الى غرب افريقيا
ايڤور ايفانز معمل تاريخ الادب الانجليزى	جوزيف ومارى فيللمان ميتلمية الفيلم	و. بارتولد تاريخ القرية فى اسيا الوسطى
ميربرت ريد القرية عن طريق الفن	ج. كوتتو المصنعة الفيتيقية	فلاديمير تيمانيانو تاريخ أوروبا الشرقية
وليام بينز معجم التكنولوجيا الحيوية	ارنست كامبرو فى المعرفة التاريخية	هابريل جاجارسيا ماركيز الجنرال فى المهامة
الفين توفلر تعول للسلطة ٢ ج	كنت أ. كتن رئيسى الثاني	هنرى بروجسون الضحك
يوسف شرارة مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية	جان بول سارتز واخرون مقارنات من المرح العالمى	د. مصطفى محمود سليمان الزئال
رولاند جاكسون الكيمياء فى خدمة الانسان	روزالند ، وجاك ياتسن الطقل المصرى القديم	م. و. ثراج شمير. المهنس
ت. ج. جيمز الحياة أيام الفراغة	تيكولاس ماير شرلوك هولمز	ر. جرنى الحيثيون
جرج كاشمان لماذا تنشب الحروب ٢ ج	ميجيل دى لبيس القران	ستينو موسكاتى المفسرات السامية
حسام الدين زكريا الطون بروكتر	جوسيبى دى لونا موسولينى	د. اليرت حورلنى تاريخ الشعوب العربية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١١٧٨٥ / ١٩٩٨

ISBN — 977 — 01 — 5917 — 4

كانت المحاورات التي كتبها أفلاطون، تفيض بالشعر الرائع،
وبحرارة في التفكير لا نظير لها، وتعد المتمم الحقيقي لتعاليمه وعمله.
أما أهداف المذهب الأفلاطوني فأبعد من أن ينالها حد؛ لأنه روح
أكثر من أن يكون مذهباً، وهو يتحد في يسر مع كل تفكير يقصد إلى
مهاجمته. ولما كان مذهباً مدققاً في مناهجه، واضحاً في عباراته، فقد
رحب بالنقد والتصحيح، إذ يعتبر أن كل نتاج إنساني، لا يصل إلى حد
الكمال.

وقد اهتم آباء الكنيسة بالمذهب الأفلاطوني، سواء لبيان ثغراته أم
للاستعانة به، ومنهم مؤلف هذا الكتاب، أوجست ديبس، أستاذ الفلسفة
بالكليات الكاثوليكية بغربي فرنسا، الذي وقف جهوده على دراسة
أفلاطون وفلسفته وآثاره حتى أصبح حجة في هذا الباب. وتعتبر
المحاورات والمؤلفات التي حققها ونشرها مصادر يوثق بها ويعتمد
عليها.

